المشرق

مثل انجيلي او وكيل الظلم

للاب لويس شيخو اليسوعي

كتب في اواخر القرن الثامن عشر احد مشاهير الملحدين فصلاً في وصف الانجيل حقَّ ان يُرْجَمَ بالنبز فيعتبهُ كلّ ناكي الوحي بل كل ذي عقل صائب ومما قال: «ان في الاناجيل بساطةً تذهلني وسذاجةً تسحر عقلي ... ترى المسيح يعرض لسامعيهِ اسمى الحقائق واعظم الاسرار فيقرّبها الى اذهانهم دون عناء ولا مشقَّة ولا يحتاج الى زخرف الكلام وبهرجة الالفاظ واساليب الانشاء لما في الحقيقة المجرَّدة من القوَّة والتأثير. فما قولك اذا نطق بها ذاك الذي قال انهُ الطريق والحقّ والحياة وتكلَّم فهُ من فضل ما في قلبهِ (متى ١٢: ٣٤)

وربما ظهرت هذه السذاجة الالهيَّة بكلّ جمالها في الامثال التي تعشَّقها السيِّد المسيح فكان ينثرها من شفتيهِ كالدراريّ الثمينة فيلتقطها مَنْ لهُ اذنان سامعتان فيسمع ويُعمل نظر فكرتهِ في اصدافها فيستخرج ما تكنُّهُ من التعاليم الخلاصيَّة

على انَّ تلك الامثال مع قرب فهمها لا تخلو احياناً من بعض المشاكل التي كانت تحتاج الى من يوضحها ويزيل لبسها ولذلك نرى المخلِّص نفسهُ قد تولَّى غير مرَّة تفسيرها لتلاميذهِ كما فعل بشرحهِ لهم مثل الزرع الواقع على الصخر او في الشوك او في التربة الجيدة ومثل الزوان الذي زرعهُ العدوّ في الزرع الجيد ونمى مع الحنطة. وقد بقي كثير من امثال الربّ في الانجيل الطاهر دون شرح فاعتاص على الشارحين بيان كلّ مشاكلها

فمن ذلك مثل طلب منّا احد ادباء البلدة جناب الكاثليق عبدالله افندي وعد تفسيره الّا وهو مثل وكيل الظلم الذي ذكرهُ القديس لوقا في انجيله (١٦: ١ — ١٢)

وخلاصتهُ انَّ رجلًا غنيًّا كان لهُ وكيل فوُشي بهِ اليهِ انَّهُ يبذّر اموالهُ. فلما دعاهُ سيّدهُ وقرَّعهُ بسوء وكالتهِ وطلب منهُ ان يؤدي عنها الحساب شعر الوكيل بانَّ تصرُّفهُ السيّئ يؤدي بهِ الى ان يُعزل عن الوكالة ويطرَد من خدمتهِ فيضطرُّهُ الامر اما ان يزاول عمل الفلاحة وهو لم يُعتدها واما ان يستعطي ويعرَّض للخجل امام الناس فلم يجد وسيلة للتملُّص من هذين الامرين الّا ان يستدعي مديوني سيّدهِ ويبدل الصكوك المؤذنة بديونهم لهُ بغيرها تنازل لهم فيها بقسم من المال واعطاهم وصولًا في ذلك. وانَّما عمل هذا رجاء ان يجد عند فصلهِ من الوكالة اصدقاء يشكرون لهُ عملهُ فيقبلونهُ في بيوتهم ريثما يجد لهُ عملًا او وكالةً اخرى. فلمَّا علم سيّد الوكيل بصنيعهِ اثنى على فطنتهِ. فختم السيد المسيح هذا المثل بقولهِ: «وانا اقول لكم اجعلوا لكم اصدقاء بمال الظلم حتى اذا ادرككم الاضمحلال يقبلوكم في المظالّ الابديَّة»

فطلب السائل اوَّلًا كيف امكن الربّ ان يمدح وكيل الظلم ويثني على حكمتهِ اذ استكتب مديوني سيدهِ صكوكًا خصم لهم فيها قسمًا من دينهم بلا عدل واباد الصكوك الصحيحة وهذا العمل ليس حكمة بل خيانة. ثمَّ طلب السائل ثانيًا معنى قولهِ «اجعلوا لكم اصدقاء بمال الظلم» ايريد السيد المسيح ان نظلم ونقتني بمال الظلم اصدقاء وكيف يقبلنا هؤلاء الاصدقاء في المظالّ الابديَّة اذا فتنا ومن هم هؤلاء الاصدقاء

الجواب

كلَّا لا يريد الربّ في هذا المثل الثناء على الخائن ولا ظلم احد لنقتني لنا اصدقاء في الآخرة

وقبل الجواب على سؤال السائل لا بُدَّ من استطلاع المثل المذكور والنظر في مقدّماتهِ ولواحقهِ التي من شأنها ان تبيّن غاية المتمثل بها فنقول:

﴿ توطئة ﴾ انَّ هذا المثل ورد في انجيل لوقا بين مثلين آخرين لهُ معهما بعض الارتباط وهما مثل الابن الشاطر ومثل غنيّ السوء ولعازر الفقير فاراد الربّ ان يصف

بالامثال الثلثة ما ينال المرء من الجدوى او من الضرر في الآخرة باستعمال الاموال الزمنيَّة على طريقة صالحة او سيئة. فبيَّن بمثل الابن الشاطر الى ما يؤدي تبذير المال بالخلاعة والطيش حتى يصير الانسان اشبه بالحيوانات فيحسدها على ذلها وخساستها ما لم يرعوِ فيتوب ويرجع الى عزّ مقامهِ وشرف منزلتهِ. وفي مثل الغني المتنعم بمالهِ المصلّب قلبه على لعازر الفقير قد مثَّل بنوع حيّ ما ينتظر الاغنياء الجفاة من العذاب الاليم في الآخرة حيث ينال الفقراء ثواب صبرهم وهم يعذَّبون بالنار الآكلة. اما مثل وكيل الظلم الذي نحن بصددهِ فضربهُ ليحرّك في قلوب الاغنياء عاطفة الحنوّ على الفقراء ليكفّروا بذلك عن ذنوبهم فيشفع بهم الفقراء المطوَّبون عند الله وينالوا الرحمة منهُ كما رحموهم في الحياة فانَّ الرب قال: ارحموا تُرحَموا وبالكيل الذي تكيلون يُكال لكم

﴿ غاية المثل ﴾ فالغاية اذن من ضرب هذا المثل ان يحضّ السيد المسيح ارباب المال على اعمال البرّ والرحمة عساهم يجدون بذلك لنفوسهم مناصاً من الديونة التي تنتظرهم والحساب الذي يُقتضى عليهم تأديتهُ يوم المعاد كما قال دانيال لنبوكدنصّر (٤: ٢٤): افتدِ خطاياك بالصدقة وآثامك بالرحمة للبائسين

والدليل على انَّ السيد المسيح قصد بهذا المثل رَذْل البخل ونَفْي الحرص الزائد على المال ما ختم بهِ المثل بقولهِ (لوقا ١٦: ١٣): «لا يستطيع احد ان يعبد ربّين... لا تقدرون ان تعبدوا الله والمال»

وهذا ما ادركهُ الفريسيون الذين قصدهم السيد المسيح بمثلهِ فقال عنهم القديس لوقا (١٦: ١٤): وكان الفريسيون الذين هم بخلاء يسمعون هذا كلَّهُ ويستهزئون بهِ

﴿ وجه المثل ﴾ فاذ تبيَّن المقصود من هذا مثل الربّ يجب علينا ان نبيّن وجه المثل وانطباقهُ على الغاية المطلوبة. فان السيد المسيح كعادتهِ في امثالهِ لم يطلب لهُ مثلاً بعيداً بل اخذهُ من الماجريات القريبة اليوميَّة حتى ينتقل من الامور الزمنيَّة الى الامور الروحيَّة ومن المنظورات المحسوسة الى غير المنظورات المعقولة فاخذ مثال وكيل تولّى تدبير اموال احد الاغنياء واساء التصرُّف بوكالتهِ الى ان نمى خبرهُ الى سيدهِ فعزم على طردهِ بعد محاسبتهِ. واذ عرف الوكيل انهُ لا ينجو من تبعة عملهِ طلب لهُ وسيلة ليتدارك ما سيحلّ بهِ من الفقر بفقدان وكالتهِ واتخذ وسيلة مذمومة

في ذاتها الّا انها موافقة لستر حالهِ بان اعفى مديوني سيدهِ من بعض مـا عليهم لهُ. ووافقهُ المديونون على خبثهِ وخيانتهِ وما كانوا ازكى ذمَّة منهُ. وكلّ هذا ممَّا نراه يوميًّا بالعيان فذكرهُ السيد المسيح ليكون وقعهُ اعظم في النفوس. على انَّ هذا العمل مهما كانت شناعتهُ لم يخلُ في اعين البشر من فطنة وحكمة عمليَّة (او شطارة كما يقال) فمن هذا الوجه استحقَّ الوكيل ثناء سيده كما نرى البعض يستحسنون ملعوباً ظريفاً دالًّا على حسن نظر وان كان فيهِ شيءٌ من سوء العمل فيغضون النظر عن هذا ليلقوا بهِ الى ذاك ولعلَّ السيد المذكور مع ثنائهِ على فطنة وكيلهِ لم يكفّ عن عزلهِ وطردهِ وفي الآية ما يرجّح الامر حيث يسمّي ذاك الوكيل «وكيل الظلم» في وقت ثنائهِ على تدبيرهِ لصالحهِ

﴿ من هو السيد المُثني على عمل وكيل الظلم ﴾ ظنَّ البعض انَّ السيد الذي ذُكر في المثل استحسانُهُ لعمل وكيل الظلم انَّما هو الربّ الاله وهذا غلط ظاهر فانَّ سياق الكلام يدلُّ على انهُ سيد ذلك الوكيل اذ لم يأتِ بعدُ مغزى المثل وتخصيصهُ بالروحيَّات وهذا المغزى ورد بعد قولهِ «فاثنى السيد على وكيل الظلم لانهُ صنع بحكمة» حيث اردف فقال: «فانَّ ابناء هذا الدهر احكم من ابناء النور في جيلهم»

﴿ تخصيص المثل الواقعيّ بالروحيَّات ﴾ اذ ظهر لنا في ما تقدَّم من اين استمدَّ السيد المسيح مثلهُ وما هو وجه المثل ومَن ذاك السيد المحكي عنهُ فيهِ ينبغي ان نبيّن كيف طبَّق الرب هذا المثل مع الغاية التي توخّاها. فلبيان ذلك ينبغي ان نقابل بين المثل والمقصود منهُ فنستقري وجوه المطابقة بينهما في الامور الهامَّة دون التفاصيل الدقيقة التي وردت في المثل زيادةً لتزيينهِ واستجلاباً لخواطر السامعين اليهِ

(اوَّلًا) من هو الغنيّ المحكيّ عنهُ في هـذا المثل؟ هو الله سبحانهُ وتعالى الذي وحدهُ اغنى كافَّة المخلوقات ولا سيما الناطقة بما تبرَّع بهِ اليها من المواهب واسبغ عليها من النعم

(ثانيًا) من هو وكيل ذلك الغنيّ؟ كلُّ انسان منَّا اعطاه الله خيرات هـذه الحياة فوكلها اليهِ ليحسن استعمالها ويستعين بها لآخرتهِ

(ثالثًا) ما المراد بالوشاية الى السيد واستدعاء المذكور لوكيلهِ للمحاسبة؟ ذلك اشارة واضحة الى يوم الدين حيث يُطالب الانسان بازاء ملائكة الله وعدوّ

الجنس البشري عن وكالته اي عن تصرُّفهِ بالخيرات التي نالها منهُ تعالى تسهيلًا لامر خلاصهِ

(رابعاً) ما الغاية من ذكر عمل الوكيل لترضية مديوني سيده ؟ الغاية منهُ بَعْث الانسان الى استدراك الشرّ الملمّ بهِ في آخرتهِ بالاحسان الى الفقراء والبائسين فانَّ هؤلاء وان كانوا ايضاً من مديوني السيد الَّا انَّ دينهم اخفّ وحسابهم أيسر والربّ يقبل شفاعتهم في الذين رحموهم وهو القائل يوم الدينونة : « الحقَّ الحقَّ اقول لكم انَّ كل ما فعلتم مع احد هؤلاء الصغار فيَّ فعلتموهُ » (متى ٢٥ : ٤١)

﴿ مغزى المثل ﴾ لا يبقى فيهِ شبهة بعد الملحوظات السابقة . يجب على المثرين والاغنياء الذين عهد الله اليهم باموال هذا العالم ان يصرفوا جانباً من هذا المال في اعمال الرحمة لتستر صدقاتهم عن ذنوبهم ويشفع بهم عند الله اولئك الذين خفَّف الموسرون بلاياهم في هذه الحياة كما صرف وكيل الظلم جانباً من المال الموكول اليهِ لينجو ممَّا كان يتهدَّدهُ بعد انفصالهِ عن الوكالة من سوء العقبى

﴿ حلّ المشاكل ﴾ بقي علينا ان نحلّ بعض المشاكل فيزول ما في المثل من الابهام

المشكل الاوَّل . هو مدح السيد المسيح لوكيل الظلم وهذا قد بطل بما تقدَّم فانَّ السيد المعنيّ بهِ هنا ليس هو الربّ الاله بل الغني صاحب وكيل الظلم . وثناؤهُ على وكيلهِ ليس هو ثناء مطلقاً كما يُثنى على عمل صالح بل هو ثناء مقيَّد على عمل فطنة وحسن تدبير احتاط بهِ الوكيل لنفسه مع قطع النظر عن جواز العمل شرعاً . بل يوجد في قول الكتاب « وكيل الظلم » ما يدلّ على استقباح جوهر الفعل . كما يظهر ايضاً من القرائن انَّ السيد المسيح فرق بين حذق الوكيل في تصرُّفهِ وسوء عملهِ حيث دعاهُ احد « ابناء هذا الدهر » وقابل بينهُ وبين « ابناء النور » وشتَّان بين ابن الدهر وبين ابن النور

المشكل الثاني . ما معنى مال الظلم في قول الربّ : « اجعلوا لكم اصدقاء بمال الظلم حتَّى اذا ادركتكم الاضمحلال يقبلونكم في المظالّ الابديَّة » هل اراد بهِ مال الحرام الذي تظلم بهِ الناس فنصرفهُ في المبرَّات لنتال بهِ خيرات الابديَّة ؟ كلَّا فان الربّ أطلق هنا اسم « مال الظلم » على كلّ الخيرات الزمنيَّة الموكولة الى

الانسان وذلك لسببين اولًا لانَّ هذه الخيرات لا سيما المال كثيرًا ما تكون داعياً للظلم بالمبايعات والمعاملات والدعاوى الباطلة والسرقات وغير ذلك. ثانياً لأن الانسان عادةً يتصرَّف بها تصرُّف السيد بمالهِ وهو وكيل عليها ليس الَّا فيستبدّ بها ويؤدي بهِ استبداده الى ان يبخل بقسم منها على الفقراء والمحتاجين وذوي البأساء فهو من هذا القبيل ايضاً اشبه بوكيل الظلم اذ يبذّر اموال الله على غير هداية

ومن هذا يتضح ان مثل وكيل الظلم ليس فيهِ شيءٌ يخلُّ بتعاليم السيد المسيح في كلّ الاناجيل الطاهرة وبهِ تسقط حجّة يليانوس الجاحد وبعض الملحدين مثلهُ الذين خبطوا خبط عشواء لمَّا زعموا بانَّ المسيح عمَّم في هذا المثل التلاعب بمال الناس ولو تمعَّنوا في كلامهِ تعالى لرأوا انهم في ضلال مبين

﴿ خلاصة القول ﴾ ليس هذا المثل سوى تحريض للمؤمنين ابناء النور كي يرتشدوا من اعمال ابناء الدهر الباطلة وبينما نرى هؤلاء لا يدَّخرون وسعاً لادراك مآربهم الفاسدة وجب بالاحرى على اولئك ان يستفرغوا المجهود في ادراك غاياتهم الصالحة وخلاص نفوسهم. واقرب وسيلة الى ذلك ان يصرفوا حطام هذه الدنيا في اعمال الرحمة كما يتَّخذ اهل العالم تلك الاموال على ايّ طريقة كانت امَّا جورًا وامَّا عدلًا للنجاة من اكدار هذه الحياة

كتاب

طبقات الامم

للقاضي ابي القاسم صاعد بن احمد بن صاعد الاندلسي

سمى بنشره وتعليق حواشيه الاب لويس شيخو اليسوعي

توطئة

كتاب طبقات الامم احد الكتب النادرة التي تعرَّض فيها كتبةُ العرب لوصف العلوم بين الامم التي سبقت عهدهم. وان لم يبلغ صاحبهُ في ذلك شأو كتاب الفهرست لابي الفرج ابن

القدم الّا انهُ جمع عدّة فوائد تدلُّ على نشاط في البحث وعلى رغبة في التحصيل ودقّة نظر في المدوّنين وكان اهل الاندلس يفتخرون بهِ ويروونهُ لاهل الشرق. وقد ذكر ابن الابّار في كتاب التكملة لكتاب الصلة (٣: ٤٦٢ من طبعة بجريط) عن عبدالله بن محمّد بن مرزوق العجمي انهُ لمّا قدم الاسكندريّة روى هذا الكتاب لابي طاهر السلفيّ

وممّن عرفوا هذا الكتاب في الشرق ابو الفرج غريغوريوس ابن العبريّ فانهُ نقل عنهُ في كتابهِ تاريخ مختصر الدول (ص ١٥٨ و ٢٣٥ من طبعتنا اليسوعيّة) نبذتين مفيدتين في العرب رعلوهم. وكذلك عرفهُ الحاج خليفة فذكرهُ مرارًا في كتابهِ كشف الظنون فدعاهُ تارةً (في ٢: ٢١٨ من طبعة ليبسيك) التعريف بطبقات الامم وقال في وصفهِ انهُ كتاب صغير الحجم كثير النفع. وتارةً (٤: ١٢٣) كتاب طبقات الامم بل نقل عنهُ فصلًا طويلًا في علم الرصد (٣: ٤٦٥) وكفى بهذه المنقولات دليلًا على اعتبار القدماء للكتاب ومؤلفهِ

ومع عظم شأن هذا الكتاب ليس منهُ الّا نسختان كاملتان في خزائن الكتب الشرقيّة في اوربّة وكلتاهما في مكتبة لندن تاريخ الواحدة (الموسومة بعدد ٣٨١) سنة ٩٨٢ هـ ١٥٧٤ م والثانية حديثة (عددها ١٦٢٢) كُتبت سنة ١٢٦٧ هـ ١٨٦٢ م. ويوجد منهُ تعليقات ومنتخبات في مخطوطات اخرى في مكتبتي لندن (العدد ١٥٠٣) وليدن من اعمال هولندا (العدد ٢٥٩٤) امّا في بلاد الشرق فلا يُعرَف منهُ نسخة مخطوطة حتى اسعدنا الحظ على اكتشاف واحدة منها عند بعض الورّاقين في دمشق فحصلنا عليها قبل ثلاث سنوات بطريقة البيع فاطّلعنا عليها بكامل الرغبة وقصدنا مذ ذاك الحين نشرها في صفحات المشرق فلم تسنح لنا الفرصة قبل هذا الوقت. وهذه النسخة لا يتجاوز عهدها مائتي سنة بل اقلّ من ذلك وليس فيها تاريخ وهي مكتوبة بخطّ جليّ شبيه بالقلم الفارسي على ورق صفيق ضارب الى الصفرة ومجلّدة تجليدًا متقنًا بجلد وورق ملوّن وأطُر ذهبيّة على الوجهين مع لسان مثابا زينةً. والنسخة بالاجمال حسنة مع ما وقع فيها من الاغلاط التي امكننا اصلاح اكثرها فنبّهنا عليها في ذيل طبعتنا

امّا المؤلف فلا نعلم الّا القليل من امرهِ. وهذه ترجمتهُ كما رواها ابن بشكوال في كتاب الصلة (طبعة بجريط ص ٣٢٤) قال عنهُ:

« صاعد بن لحمد بن عبد الرحمان بن محمّد بن صاعد التغلبي قاضي طليطلة يكنّى ابا قاسم راصلهُ من قرطبة روى عن ابي محمّد بن حزم والفتح بن قاسم وابي الوليد الوقشي وغيرهم. واستقضاهُ المأمون يحيى بن ذي النون بطليطلة وكان متحرّيًا في امورهِ واختار القضاء باليسير مع الشاهد الواحد في الحقوق وبالشهادة على الخطّ وتوفّي بذلك ايّام نظرهِ وكان من اهل المعرفة والذكاء والرواية والدراية. وُلد بالمرّية في سنة ٤٢٠ (١٠٢٩ م) وتوفي بطليطلة وهو قاضيها في شوّال سنة اثنتين وستّين واربع مائة (١٠٧٠ م) وصلّى عليهِ يحيى بن سعيد بن الحديدي. ذكر بعضهُ ابن مطاهر »

هذا ما وجدناهُ من ترجمتهِ على انّ الكتبة تصرّفوا في ايراد اسمهِ فسمّوهُ ابن صاعد (الحاج خليفة ٤: ١٢٤) او صاعد المالقي (٢: ٢١٨) او القرطبي (٤: ١٢٣) وقد وهم الحاج خليفة في ذكر وفاتهِ مرّتين في سنة ٢٥٠ والصواب ٤٦٢ كما مرّ. ولابي القاسم صاعد المترجم عدّة

تآليف جاء ذكر بعضها في كشف الظنون للحاج خليفة منها (٢ : ٦٢٦) كتاب جوامع اخبار الامم من العرب والعجم ذكره في كتاب تعريف طبقات الامم كما سترى ومنها (٦ : ١١١ و ١٢٤) كتاب صوان الحكم في طبقات الحكماء. ولصاعد كتابان آخران ذكرهما لنفسه في اثناء كلامه عن علوم الهند والفرس دعاه كتاب مقالات اهل الملل والنحل وكتاب اصلاح حركات النجوم. كذلك روى القزويني (Casiri: *Bibl. Arab. Hisp.* II, 241) عن مخطوطات الاسكوريال انّ لصاعد تاريخًا للاندلس وتاريخًا للاسلام وكل هذه الكتب مفقودة لا يُعرف منها شيء في خزائن الكتب العمومية ولعلّها عند بعض الخاصّة فعسى تخرج يومًا من دفائنها

(2) بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسّر

قال القاضي ابو القاسم صاعد بن احمد بن صاعد رحمه الله تعالى اعلم انّ جميع الناس في مشارق الارض ومغاربها وجنوبها وشمالها وان كانوا نوعًا واحدًا يتميزون بثلثة اشياء بالاخلاق والصور واللغات (١

[الباب الاول: الامم القديمة (٢]

وزعم من عُني باخبار الامم وبحث عن سائر الاجيال وفحص عن طبقات القرون انّ الناس كانوا في سالف الدهور وقبل تشعب القبائل وافتراق اللغات سبع امم

(الامّة الاولى) الفرس وكان مسكنها في الوسط المعمور وحدُّ بلادها من الجبال التي في شمال العراق المتصل بعقبة حلوان والذي فيه انجاهات (؟) والكرج والدينَوَر وهَمَذان ورُيّ وقاشان وغيرها من البلاد الى ارمينية والباب المتصل ببحر اذربيجان وطبرستان ومَرْلتان والبيلقان وارزن (٣ والشابران (؟) والريّ والطالقان وجرجان الى بلاد خراسان كنيشابور والمرو وسرخس وهراة وخوارزم وبلخ وبخارا

١) وزد عليها رابعًا الاديان
٢) ليس في الاصل ذكر للابواب وانّما اوردناها تيسيرًا للطالب
٣) في الاصل إذان

وسمرقند وفرغانة والشاش وغيرها من بلاد خراسان الى بلاد بتجستان (١ وكرمان وفارس والاهواز واصبهان وما اتصل بهـا كلّ هذه البلاد كانت مملكة واحدة ملكُها واحد ولسانها واحد فارسي الّا انهم كانوا يتبايَنون في شيء يسير من اللغات ويجتمعون في عدد (3) الحروف وصورة تأليفها ويخرجهم اختلافهم بعد ذلك في سائر الاشياء من تلك اللغة كالفهلوية والزرديّة (٢ وغيرها من لغات فارسون (كذا)

(والأمّة الثانية) الكلدانيون وهم السريانيُّون والبابليون وكانوا شعوباً منهم الكوثليون (كذا) والاثوريُّون والارمانيون والجرامقة وهم اهل الموصل والنبط وهم اهل سواد العراق وكانت بلادهم في وسط المعمور ايضاً وهي العراق والجزيرة التي ما بين دجلة والفرات المعروفة بديار ربيعة ومضر (٣ والشام وجزيرة العرب التي بين الحجاز ونجد وتهامة والغور واليمن كلّها مـا بين زبيد الى صنعاء وعدن والعروض والشِحْر (٤ وحضرموت وعمان وغيرها من بلاد العرب. وكانت هذه البلاد واحدة ملكها واحد ولسانها واحد سرياني وهو اللسان القديم لسان آدم عليـه السلام وادريس ونوح وابراهيم ولوط عليهم السلام وغيرهم (٥

ثم تفرّعت اللغة العبرانيّة والعربيّة من اللغة السريانيّة فغلب العبرانيُّون وهم بنو اسرائيل على الشام فسكنوها وغلبت العرب على البلد المعروف بجزيرة العرب المتقدّم ذكرها وعلى الجزيرة المعروفة اليوم بديار ربيعة ومضر فسكنوا جميع ذلك وانكشت بقيّة السريانيين الى العراق وكانت دار مملكتهم العظمى منها مدينة كالوادي (كذا وذى)

(والأمّة الثالثة) اليونانيون والروم والافرنجة والجلالقة [والبرجان والصقالبة والروس والبُرغر (٦ واللان وغيرهم من الامم التي حوالي بحر نيطش وبحيرة مانيطش

---

١) كذا ولعلّهُ يريد سجستان

٢) كذا ولعلهُ تصحيف الزنديّة (le zend)

٣) في الاصل ومصر وهو تصحيف

٤) في الاصل والشجر وهو غلط

٥) هذا رأي لم يوافق عليه العلماء في يومنا بعد الاكتشافات الحديثة في جهات بابل وفي جزيرة العرب وغيرها. وكذلك قول المؤلف عن تفرُّع اللغات وعددها واختلافها فيه نظر

٦) في الاصل تبرجان والورس والبرغز بالغلط

وغيرها من المواضع التي في الربع الغربيّ والشمال من معمور الارض كانت مملكتهم ولغتهم واحدة

(والأمّة الرابعة) القبط وهم اهل مصر واهل الجنوب وهم اصناف السودان من الحبشة والنوبة والزنج وغيرهم من اهل المغرب وهم البرابر ومن اتّصل بهم الى بحر اقنابس (١ الغربيّ المحيط لغتهم واحدة ومملكتهم واحدة

(والأمّة الخامسة) اجناس الترك من الجرميّسة وكيماك والتغزغز (٢ والخزر والسرير وجيلان وخوزان (٣ وطيلسان (٤ وكشك وبرطاس كانت لغتهم واحدة ومملكتهم واحدة

(والأمّة السادسة) الهند والسند ومن اتّصل بهم لغتهم واحدة وملكهم واحد

(والأمّة السابعة) الصين ومن اتّصل بهم من سكّان بلاد عامور بن يافث بن نوح عليه السلام مملكتهم واحدة ولغتهم واحدة

فهذه الامم السبعة كانت محيطة بجميع البشر وكانوا جميعاً صابئةً يعبدون الاصنام تمثيلًا بالجواهر العلويّة والاشخاص الفلكيّة من الكواكب السبعة وغيرها ثمّ افترقت هذه الامم السبعة وتشعّبت لغاتهم وتباينت اديانهم

[الباب الثاني: اختلاف الامم وطبقاتها بالاشتمال]

قال صاعد ووجدنا هذه الإمم على كثرة فرقهم وتخالف مذاهبهم طبقتين. فطبقة عُنيت بالعلم فظهرت منها ضروب العلوم وصدرت عنها فنون المعارف. وطبقة لم تُعنَ بالعلم عناية تستحقّ بها اسمهُ بعد مَن امتثلهُ (٥ فلم يُنقل عنها فائدة حكمة ولا رُوّيت بها فتيجة فكرة. فاما الطبقة التي عُنيت بالعلوم فثمانية امم الهند والفرس والكلدانيّون والعبرانيّون واليونانيّون والروم واهل مصر والعرب. واما

١) والصواب بحر قابس

٢) في الاصل ليساك والطغزغز وهو تصحيف

٣) في الاصل حوران وهو غلط. امّا جيلان ويقال كيلان فقريبة من الدّيلم. والسّرير على ما قال ياقوت في معجم البلدان (٣: ٨٨) مملكة واسعة بين اللان وباب الابواب اهلها نصارى

٤) في الاصل طيلستان وطيلسان. من اقاليم الخزر والديلم

٥) هذه العبارة في الاصل مبهمة

الطبقة التي لم تُعنَ بالعلوم فبقية الامم بعد من ذكرنا من الصين وياجوج وماجوج والترك وبرطاس والسرير والخزر (١ وحوران وكشل (؟) واللان والصقالبة والبُرغر (والبلغر) والروس والبرجان والبرابر واصناف السودان من الحبشة والنوبة والزنج وعانة وغيرهم

[الباب الثالث: الامم التي لم تُعن بالعلوم]

وانسب هذه الامم التي لم تُعن بالعلوم الصين والترك

فاما (الصين) فاكثر الامم عدداً وافخمها مملكة واوسعها داراً ومساكنهم محيطة باقصى المشارق المعمور ما بين خطّ معدّل النهار الى اقصى الاقاليم السبعة في الشمال. وحظّهم من المعرفة التي أيدور فيها مناجد الامم (٢ اتقان الصنائع العمليّة واحكام المِهَن التصوّريّة. فهم اصبر الناس على مطاولة التعب في تجويد الاعمال ومقاساة النصَب في تحسين الصنائع

واما (الترك) فأمّة كثيرة العدد ايضاً فخمة المملكة ومساكنهم ما بين مشارق خراسان من مملكة الاسلام (5) وبين مغارب الصين وشمال الهند الى اقصى المعمور الشمالي. وفضائلهم (٣ التي برعوا فيها واحرزوا خصلتها معاناة الحروب ومعالجة آلاتها فهم احذق الناس بالفروسيّة والثقافة وأبصرهم بالطعن والضرب والرماية

واما سائر هذه الطبقة التي لم تُعنَ بالعلوم فهم اشبه بالبهائم منهم بالناس لأنّ من كان منهم موغلاً في بلاد الشمال ما بين آخر الاقاليم السبعة (٤ التي هي نهاية المعمور في الشمال. فإفراط بُعد الشمس عن مُسامتة رؤوسهم بَرَّد هواءهم وكثف جوّهم فصارت لذلك امزجتهم باردة واخلاطهم فجّية فعظمت ابدانهم وابيضّت

١) في الاصل الجزر تصحيف
٢) الاصل مُبهم
٣) الاصل فضيلتهم
٤) ذلك وفقاً لتعليم القدماء كبطليموس ومَن تبعهُ الذين جعلوا الارض سبعة اقسام دعوها اقاليم وهي على شكل بسيطة. فافضل هذه الاقاليم الاربعة التي بين اقليمي الشمال والجنوب

الوانهم وانسدلت شعورهم فعدموا بهذا دقّة الافهام وتقوب الخواطر وغلب عليهم الجهل والبلادة وفشا فيهم العمى والغباوة كالصقالبة والبُرْغُر ومن اتّصل بهم

ومن كان منهم ساكناً قريباً من خطّ معدّل النهار وخلقهُ الى نهاية المعمور في الجنوب فطول مقـارنة الشمس لسُمت رؤوسهم أسخنَ هواءهم وسخّف جوّهم فصارت لذلك امزجتهم حارّة واخلاطهم محرقة فاسودّت الوانهم وتقلقلت شعورهم فعـدموا بهذا وجاحة (١ الاحلام وثبوت البصائر وغلب عليهم الطيش وفشا فيهم النوك والجهل مثل من كان من السودان ساكناً باقصى بلاد الحبشة والنوبة والزنج وغيرها

واماً (الجلالقة والبرابرة) وسائر سكّان اكناف المغرب من هذه الطبقة فأمم خصّها الله تعـالى بالطغيان والجهل وعمّها بالعدوان والظلم (٢ على انهم لم يوغلوا في الشمال فتلحقهم آفة البـلد ولا تمكّنوا من الجنوب فتقصر بهم طبيعة الموضع بل مساكنهم قريبة من البلاد المعتدلة الهواء. فاماً الجلالقة فساكنهم في مغارب بعض الاقليم الخامس ومـا يتصل بهِ من بعض الاقليم السادس واماً البرابر فساكنهم في مغارب بعض الاقليم الثاني وما يتصل بهِ من الاقليم الثالث (6) وبعض الاقليم الرابع ولكنّ الله تعالى يختصّ برحمته من يشاء ويعدل بنعمته عمّن يشاء.

واماً سائر من لم اذكرهُ بشيء من هـذه الطبقة فهم أسوة هؤلاء في الجهل وان اختلفت مراتبهم فيـهِ وتباينت قِسَمُهم منهُ لأنّهم اجمعين مشتركون فيما ذكرنا منهم من انّهم لم يستعملوا افكارهم في الحكمة ولا راضوا انفسهم بتعلّم الفلسفة الّا ان جمهورهم مع هذا وهم اهل المدن وخلافهم من اهل البادية لا يخلون حيثما كانوا من مشارق الارض ومغاربها وجنوبها وشمالهـا من سياسة ملوكيّة تضبطهم وناموس الهي يملكهم ولا يشذّ عن هذا النظام الانساني ولا يخرج عن هذا التأليف الاليف العقل الّا بعض قطّان الصحارى وسكّان الفلوات والفيافي كرماغ البجّة وهمج عانة وغثاء الزنج وما اشبههم

---

١) في الاصل رجاجة

٢) لم يُصب المؤلف بنسبتهِ اليهِ تعالى هذه الخصال وغاية ما يقال انّ تلك الامم اقلّ من سواها استعداداً للتمدّن. وكثير منها اليوم لا ينقصهُ شيء من اسباب الحضارة

[الباب الرابع: الامم التي عُنيت بالعلوم]

لمَّا الطبقة التي عُنيت بالعلوم فهم صفوة الله من خلقهِ ونخبتهُ من عبادهِ لأنَّهم صرفوا عنايتهم الى نيل فضائل النفس الناطقة العائمة لنوع الانسان والمقوّمة لطبعهِ وزهدوا فيما رغب فيهِ الصين والترك ومن نزع منزعهم من التنافس في اخلاق النفس الغضبيَّة والتفاخر بالقوى البهيميَّة اذ علموا ان البهائم تشركهم فيها وتفضلهم في كثير منهـا امَّا في الصنعة واحكام التصوير (١ و إتقان التشكيل فكالنحل المُحكمة لتسديس (٢ مخازن قوتها. والعنكبوت المتقنة لخيوط بيوتها وتجويد تناسب الدوائر المُتقاطِعة لها وغيرها من البهائم التي ظهرت منها الصنائع العجيبة والافاعيل الغريبة حتى ضربت العرب بها الامثال فقالت: « أَصنعُ من الرُّفة » وهي دودة تكون في الحمص ويبلغ من صنعها ان تصنع بيتاً مربَّعاً من دقائق العيدان . وقالوا: « أصنع من تَنُّوط (٣ » وهو طائر يبلغ رقتهُ في صنعهِ عشَّهُ متدلّياً من الشجرة . وامَّا في الجرأة والشجاعة (٤ فكالاسد والنمر وغيرهما من السباع التي تغاضى الانسان إقدامها ولا يدَّعي بسالتها. وكذلك ايضاً سائر القوى الحيوانيَّة من الجود والبخل وغيرهما فانَّ لبعض البهائم فيها مزيَّة على الانسان. وكذلك ضربت العرب الامثال فقالت: أنخى من ديك واجرأ من ليث ومن ذباب واختل من ذئب واخبث من ثعلب ومن ضبّ واخشع من كلب واظلم من حيَّة وأكذب من ذَرَّة ومن غلة ومن دبّ واجبن من نعامة واهدى من قطاة واحذر من عتعق وابخل من كلب وألحُّ من الحنَّى واجبن من صفرد واروغ من ثعلب واصبر من عَوْد وأجنُّ من ناب

وكذلك قوى الاجسام وصدق الحواس لا ينكر احدٌ انَّ حظّ بعض البهائم منها اوفر من حظّ الانسان. وكذلك قالت العرب في امثالها: ابصر من عُقاب ومن فرس. وأصحّ من ذئب ومن ظليم. واضبط من نملة فانَّها تحمل النواة وهي اضعافها واسمع من قراد ومن سِنَع ومن فَرَس بيهماء. واسمعُ من دُلدل وهو القنفذ الضخمة. واسرع من فرس. وسوى هذا ممَّا ضربوا فيهِ الامثال بانواع البهائم

١) في الاصل الصوّر

٢) في الاصل « فكل النحل . . . لتشديش » وهو غلط

٣) في الاصل قنوط وهو غلط وكذلك وقع بعض اغلاط في الامثال الآتية اصلحناها

فهـذا الغرض الشريف والمقصد الكريم من حبّ القوى الانسانيّة والكلف بالفضائل البشريّة والأنفة من مشاكلة البهائم والاباءة من مشابهة السباع. وكان اهل العلم مصابيح الدجى واعلام الهدى وسادة البشر وخيار الامم الـذين فهموا غرض البارئ تعالى منهم وعرفوا الغـاية المنصوبة لهم فصلاة الله عليهم ويا وحشة الدنيا لفقدهم. واذ قدّمنا هـذه الطبقة التي عُنيت بالعلم ثماني امم وكان قصدنا التعريف بعلومهم والتنبيه على علمائهم فنشرع في ذلك على حسب ما نذهب اليه من الايجاز والاختصار ان شاء الله تعالى

[١ العلم في الهند]

امّا الأمّة الاولى وهي (الهند) فأمّة كثيرة القـدر عظيمة العدد فخمة المالك قد اعترف (8) لها بالحكمة واقرّ لهـا بالتبرّز في فنون المعارف جميع الملوك السالفة والقرون الماضية. وكان ملوك الصين يقولون: ان ملوك الدنيـا خمسة وسائر الناس اتبـاع فيذكرون ملك الصين وملك الهند وملك الترك وملك الفرس وملك الروم. وكانوا يسمّون ملك الصين « ملك الناس » لانّ اهل الصين اطوع النـاس للسلكة واشدّهم انقيادًا للسياسة. وكانوا يسمّون ملك الهند « ملك الحكمة » لفرط عنايته بالعلوم وتقدّمهم في جميع المعارف. وكانوا يسمّون ملك الترك « ملك السباع » لشجاعة الترك وشدّة بأسهم. [وكانوا يسمّون ملك الفرس (١ « ملك الملوك » لفخامة مملكته وجلالتها ونفاسة قدرهـا وعظم شأنها ولأنها حازت على الملوك وسط المعمور من الارض واختوت دون سائر الملوك على اكرم الاقـاليم. وكانوا يسمّون ملك الروم « ملك الرجال » لانّ الروم اجمل الناس وجوهاً واحسنهم اجساماً واشدّهم أسرًا

فكان الهند عند جميع الامم على ممرّ الدهور وتقادم الازمان معدن الحكمة وينبوع العدل والسياسة واهل الاحلام الراجحة والآراء الفـاضلة والامثال السائرة والنتائج الغريبة واللطائف العجيبة وهم وان كانت الوانهم في اوّل مراتب السواد فصاروا في ذلك من جملة السودان فقد جنّبهم الله تعـالى سوء اخلاق السودان (٢

١) هذا ناقص في الاصل

٢) في الاصل: سوء الاخلاق والسودان. وهو غلط

ودناءة بشيهم وسفاهة احلامهم وفضلهم على أمم كثيرة من السُّمر والبيض

ولبعض اهل العلم بأحكام النجوم في هـذا تعليل (١ وذلك انَّهم زعموا انَّ زُحل وعُطارد يتوليان بالقسمة لطبيعة الهند. فلولاية زحلَ لتدبيرهم لسودت الوانهم ولولاية عُطارد لذلك خلصت عقولهم ولطفت اذهـانهم مع مشاركة زُحل في صحة النظر وبعد الغور فكانوا لهـذا حيث هم من صفاء القرائح وسلامة التمييز وخالفوا بذلك سائر السودان من الزنج والنوبة والحبشان وسواهم. فلهـذا التحقوا بعلم العدد والاحكام (٩) بصناعة الهندسة ونالوا الحظّ الاوفى والقِدح المعلّى من معرفة حركات النجوم واسرار الفلك وسائر العلوم الرياضيَّة. وبعد هذا فانهم اعلم الناس بصناعة الطب وأبصرهم بقوى الادوية وطبائع المولّدات وخواصّ الموجودات والموكهم السيرة الفاضلة والملكات المحمودة والسياسات الكاملة

امَّا العلم الالهيّ فانهم مجمعون منـهُ على التوحيد لله عزّ وجلّ والتنزيه لهُ عن الاشراك بهِ (٢ ثمَّ هم مختلفون في سائر انواعـهِ فمنهم براهمة ومنهم صابئة. فامَّا البراهمة وهي فرقة قليلة العدد فيهم شريعة النسب عندهم فمنهم من يقول بحدوث العـالم ومنهم من يقول بأزليهِ الَّا انهم مجمعون على ابطال النبوّات وتحريم ذبائح الحيوان والمنع في ايلامهِ. واما الصابئـة وهم جمهور الهند ومعظمها فانَّها تقول بازل العالم وانهُ معلول بذات علَّة العالم التي هي الباريّ عزَّ وجلّ وتعظّم الكواكب وتصوّر لها صورًا تمثلها وتتقرَّب اليها بانواع القرابين على حسب مـا علموا من طبيعة كل كوكب منها ليستجلبوا بذلك قواهـا ويصرفوا في العالم السفلي على اختيارهم تدابيرها. ويسمّون كلّ صورة من هذه الصور باسماء. [ولهم في ازمان المبدارة وأدوار الكواكب واكوارها وفساد جميع المولّدات من العناصر الاربعـة عند كل اجتماع يكون للكواكب في رأس الحمل وفي عودة المولدات في كل دور (٣ آراء كثيرة ومذاهب متفرّقة على حسب ما بيناً في كتابنا في مقالات اهل الملل

١) هذا التعليل المبني على مزاعم اهل التنجيم والفراسة باطل لا صحة لهُ

٢) ليس هذا بصحيح فانَّ الشرك شائع في كل انحاء الهند. ولعلـهُ اراد ديانة البوذيين وفيها ايضاً ضروب من التعاليم الفاسدة الممزوجة بالاضاليل الوثنية

٣) هنا قد طرأ على الاصل بعض فساد

والنحل (١ ولبعد الهند من بلادنا واعتراض الممالك بيننا وبينهم قلّت عندنا تآليفهم فلم تصل الينا الّا طُرَف من علومهم ولا وردت علينا الّا نُبذ من مذاهبهم ولا سمعنا الّا بالقليل من علمائهم

ثمن مذاهب الهند في علوم النجوم المذاهب الثلثة المشهورة عنهم وهو مذهب السند هند ومذهب الازجير ومذهب الاركند (٢ ولم يصل (10) الينا منهم على التحصيل الّا مذهب السند هند وهو المذهب الذي تقلّده جماعة من الاسلام والّفوا فيه الازياج كمحمّد بن ابراهيم الفزاري وحنش بن عبد الله البغدادي ومحمد بن موسى الخوارزمي والحسين بن محمد المعروف بابن الآدمي وغيرهم. وتفسير السند هند « الدهر الداهر » كذلك حكى الحسين بن الآدمي في زيجه

تقول اصحاب (السند هند) انّ الكواكب السبعة واوجاتها وجوزهراتها (٣ تجتمع كلها في رأس الحمل خاصة في كلّ اربعة آلاف الف سنة وثلثمائة الف الف سنة وعشرين الف الف شمسيّة ويسمون هذه المدّة مدّة العالم لانّهم يزعمون انّ الكواكب واوجاتها وجوزهراتها متى اجتمعت في رأس الحمل فَسَدَ جميع المكوّنات في الارض وبقي العالم السفلي خراباً دهرًا طويلًا حتى تتفرّق الكواكب والاوجات والجوزهرات في البروج فاذا كان كذلك بدأ الكون وعادت حالة العالم السفلي الى الامر الاوّل هكذا ابدًا الى غير غاية عندهم. ولكلّ واحد من الكواكب والاوجات والجوزهرات ادوارٌ ما في هذه المدّة التي هي عندهم مدّة العالم قد ذكرتها في كتابي المؤلف لإصلاح حركات النجوم (٤

واما اصحاب (الازجير) فانهم وافقوا اصحاب السند هند الّا عدد مدّة العالم فانّ مدّتهم التي ذكروها انّ الكواكب واوجاتها وجوزهراتها تجتمع عندهم في رأس الحمل هي جزء من الف من مدّة السند هند وذلك عندهم تفسير الازجير

واما اصحاب (الاركند) فانهم خالفوا الفرقتين الاوّلتين (كذا) من حركات الكواكب وفي مدّة العالم خلافاً لم يبلغني حقيقتهُ

---

١) راجع المقدمة ٢) القاف هندية لم نطّلع على اصلها وسيأتي شرحها

٣) الأوج من مصطلحات علم النجوم ابعد نقطة من الخارج عن مركز الفلك. والجوزهر ويقال كوزهر عقدة الرأس والذنب في منطقة البروج ٤) اطلب المقدمة

ومما وصل الينا من علومهم في الموسيقى الكتاب المسمى بالهندية « نافر » وتفسيرهُ ثمار الحكمة فيه اصول اللحون وجوامع تآليف النغم

ومما وصل الينا من علومهم في اصلاح الاخلاق وتهذيب النفوس (11) كتاب كليلة ودمنة الذي جلبهُ برزويه الحكيم الفارسيّ من الهند الى انوشروان بن قباد (١ ابن فيروز ملك الفرس وترجمهُ لهُ من الهندية الى الفارسيَّة (٢ ثمَّ ترجمهُ في الاسلام عبدالله بن المقفَّع من اللغة الفارسيَّة الى اللغة العربيَّة وهو كتاب عظيم الفائدة شريف الغرض جليل المنفعة (٣

ومما وصل الينا من علومهم في العدد حساب الغبار (٤ الذي بسطهُ ابو جعفر محمد بن موسى الخوارزمي وهو اوجز حساب وأحضرهُ واقربهُ تناولًا واسهلهُ مأخذًا وابدعهُ تركيباً يشهد للهند بذكاء الخواطر وحسن التواليد وبراعة الاختراع

ومما وصل الينا من نتائج فكرهم الصحيحة ومولّدات عقولهم السليمة وغرائب صنائعهم الفاضلة الشطرنج. وللهند فيما يتركّب من بيوتها من الاعداد المضاعفة رموزٌ لاسرارٍ يعتقدونها من تقدمة المعرفة وغوامض يتخلّونها من القوى الخارجة عن الطبيعة. ولعمري انَّ في ما يظهر عند استعمالها بتصريف قطعها من حسن التأليف وعجيب الترتيب لغرضاً جليلًا ومقصدًا فخماً لما في ذلك من التنبيه على وجه التحرُّز من الاعداء والاشارة الى صورة الحيلة في التخلُّص من المكاره. وكفى بهذا فائدة جمَّة وثمرة نافعة

ومما بلغنا ذكرهُ من علمائهم بهيئة العالم وتركيب الافلاك وحركات النجوم كنكه الهندي فانَّ ابا معشر جعفر بن عمر البلخيّ ذكر في كتاب الالوف (٥ انهُ المقدَّم في علم

---

١) في الاصل قناد

٢) يريد اللغة البهلويَّة التي عنها نقل عبدالله بن المقفَّع وكان سبقهُ الى نقلها الى الكلدانية البردوط بوذ في القرن السادس للمسيح

٣) اطلب طبعتنا لهذا الكتاب عن اقدم نسخة خطيَّة مؤرخة

٤) يريد حساب الاعداد الشرقيَّة التي اخذهُ العرب عن اهل الهند وقد ذكرنا في المشرق (ص ٢٣٦) انَّ السريان سبقوهم الى معرفتهِ ولعلَّ العرب اخذوهُ عن اهل الهند بواسطتهم. ثم اخذهُ الفرنج عن العرب

٥) الحاج خليفة (١ : ٥٠)

النجوم عند جميع العلماء من الهند في سالف الدهر (١ ولم يبلغني تحديد عصره ولا شيء من اخباره غير ما ذكرناه عنه

٢ العلم في الفرس

واما الأمة الثانية وهي الفرس فاهل الشرف الباذخ والعز الشامخ واوسط الامم دارًا واشرفها اقليماً وأنوسها ماركاً ولا نعلم أمة غيرها دام لها الملك وكانت لهم ملوك تجمعهم وروس تحامي عنهم مَنْ ناوأهم وتغلب بهم مَنْ غارهم وتدفع ظالمهم عن مظلومهم (12) وتحتلهم من الامور على ما فيه حظهم على اتصال ودوام وأحسن التئام وانتظام يأخذ ذلك آخرهم عن اولهم وغابرهم عن سالفهم

قال صاعد ولاهل العلم بتاريخ الامم تنازع في مدة مملكة الفرس ليس هذا موضعُ ذكرهِ وقد اتينا باختلافهم في ذلك في كتابنا في جوامع اخبار الامم من العرب والعجم (٢

واصحُّ ما قيل في ذلك انَّ من ابتداء ملك كيومرث بن ميم بن الاد بن سام ابن نوح ابي (٣ الفرس كلها الذي هو عندهم آدم ابو البشر عليه السلام الى ابتداء ملك منوشهر (٤ اوّل ملوك الطبقة الثانية من ملوك الفرس نحو الف سنة كاملة. ومن ملك منوشهر الى ابتداء ملك كيقباذ بن روع اوّل ملوك الطبقة الثالثة من ملوك الفرس قريب من مائتي عام. ومن ملك كيقباذ الى ابتداء ملك الطوائف وهي الطبقة الرابعة من ملوك الفرس وذلك عند مقتل الاسكندر لدارا بن دارا آخر ملوك الطبقة الثالثة من ملوك الفرس نحو الف سنة. ومن اوّل ملك الطوائف الى ابتداء ملك ازدشير بن بابك (٥ الساساني اوّل ملوك بني اسرائيل وهي الطبقة الخامسة من ملوك الفرس خمسمائة سنة واحدى وثلثون سنة. ومن ابتداء ملك ازدشير بن بابك (٥ الى انقضاء دولة الفرس من الارض وذلك عند قتل

١) هذه العبارة عن كنكه نقلها بحرفها ابن ابي اصيبعة في طبقات الاطبّاء (٣ : ٢٢)
٢) اطلب المقدمة ٣) في الاصل « الى »
٤) والفرس يقولون منوچهر
٥) في الاصل بابل وهو تصحيف

يزدجرد بن شهريار زمان خلافة عثمان بن عفّان رضي الله عنهُ في سنة اثنتين وثلثين من الهجرة اربعمائة سنة وثلث وثلثون سنة . فذلك ثلثة آلاف سنة ومائة سنة واربع وستون سنة . وانما ذكرنا مدّة ملكهم . وان لم يكن من غرض هذا الكتاب لنرى بذلك فخامة مملكتهم وعظم سلطانهم . ولهذا ومثلهِ من سائر جلالتهم لستحقّ ملوكهم عند سائر الملوك ان يُقال لهم « ملوك الملوك » على حسب ما قدّمنا قبل ذلك

واعظم فضائل ملوك الفرس التي اشتهروا بها حسن السياسة وجود التدبير لاسيّما ملوك بني ساسان (13) منهم فهم ملوك لم يكن في سائر الاعصار مثلهم رجاحة (١ احلام وكرم سيرة واعتدال مملكة وبُعد صيت

ومن خواصّ الفرس عناية بالغة بصناعة الطبّ ومعرفة ثاقبة بأحكام النجوم وتأثيرها في العالم السفليّ وكانت لهم ارصاد للكواكب قديمة ومذاهب في حركاتها مختلفة فمن ذلك المذهب الذي الف عليهِ ابو المعشر جعفر بن محمد البلخيّ زيجهُ الكبير وذكر انهُ مذهب العلماء المتقدمين من اهل فارس وكثير من علماء سائر النواحي

وحكى انّ مدّة العالم عندهم جزء من اثني عشر الف من مدّة السند هند وذلك ثلثمائة الف سنة وستون الف سنة وانّ هذه المدّة عندهم هي التي تجتمع فيها اوساط الكواكب خاصّة في رأس الحمل من غير ان يكون معها اوجاتها وجوزهراتها . وأثنى ابو معشر على هذا المذهب وقال انّ اهل الحساب من فارس وبابل والهند والصين وأكثر الامم ممّن كانت لهُ معرفة بصناعة النجوم مجمعون على انّ اصحّ الأدوار دور هذه الفرقة وكانوا يسمونها بني العالم وبهذا الاسم كانت تسمّيها الامم الخالية من اهل هذه الصناعة على قديم الدهر . واما اهل زماننا فانّهم يسمونها بني اهل فارس

وللفرس كتب جليلة في احكام النجوم منها كتاب في صور درجات الفلك ينسب الى ازدرشت (٢ وكتاب التفسير وكتاب جاماستف (٣ وهو جليل جدًّا

١) في الاصل رجاجة ٢) كذا والمعروف زرادشت
٣) كذا في الاصل والصواب جاماسف

وذكر بعض علماء الاخبار انّ الفرس في اوّل امرها كانت موحّدة على دين نوح عليه السلام الى ان اتى بوذاسف المشرقي الى طهمورث ثالث ملوك الفرس بمذهب الحنفاء وهم الصابئون فقبلهُ منهُ وقهر الفرس على التسرُّع به فاعتقدوهُ نحو الف سنة وثمانمائة سنة الى ان تمجّسوا (١ جميعاً

وكان سبب تمجّسهم ان (14) زرادشت الفارسيّ ظهر في زمان يستاسب (٢ ملك الفرس وثلثين سنة خلت من ملكهِ ودعا الى دين المجوسيّة من تعظيم النار وسائر الانوار والقول بتركيب العالم من النور والظلام واعتقاد القدماء الخمسة التي هي عندهم: الباري (تعالى عمّا يقولون) وابليس والهيولى والزمان والمكان وغير ذلك من شريعة المجوسيّة. فقبل ذلك منهُ يستاسب وقام بدينهُ وقاتل الفرس عليهِ حتّى انقادوا جميعاً اليهِ ورفضوا دين الصابئة واعتقدوا زرادشت نبيًّا مرسلًا من عند الله عزّ وجلّ اليهم ولم يزالوا على دينهِ وملتزمين لشريعتهِ قريباً من الف سنة وثلثمائة سنة الى ان ضعضع ملكهم عمرُ بن الخطّاب رضي الله عنهُ واحتوى على المدائن قاعدة عزّهم وطردهم عن العراق وما يتّصل بها الى بلاد خراسان ثمّ استأصل (عثمان) بقيّة ملكهم بقتل يزدجرد بن شهريار آخر ملوكهم في خلافتهِ وذلك سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة وباد منهم خلق عظيم في الحروب الواقعة بينهم وبين المسلمين في يوم القادسيّة ويوم جَلُولاء (٣ويوم نهاوَنْد وغيرها واسلم منهم جماعة وبقيت بقيّتهم على دين المجوسيّة الى الآن اهل ذمّة كذمّة اليهود والنصارى بالعراق والاهواز وبلاد فارس واصبهان وخراسان وغيرها من مملكة الفرس قبل الاسلام

٣ العلم عند الكلدان

واما الامّة الثالثة وهم الكلدانيون فكانت امّة قديمة الرئاسة نبيهة الملوك كان منهم النمارذة الجبابرة الذين كان اوّلهم النمرود بن كوش بن حام باني المجدل الذي ذكرهُ الله تعالى في قولهِ (٤: قد مكرَ الذين من قبلهم فاتى الله بنيانهم من القواعد فخرَّ عليهم السقف من فوقهم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون

١) التمجّس الدين بالمجوسية وهي عبادة النار والشمس
٢) ويقال بِشْتاشْف وكيستاسب وكبتاسف
٣) في الاصل حلولاء غلط ٤) اطلب سورة النحل (العدد ٢٨)

وحكى ابو محمد الحسن بن احمد بن يعقوب الهمداني المعروف بابن ذي الدمينة(١ صاحب كتاب سرائر الحكمة وكتاب الاكليل وغيرهما انَّ ارتفاع سمك للجدل كان فيما ذكرهُ اهل العلم خمسة آلاف (15) ذراع وكان عرضهُ الف وخمسمائة ذراع. ويزعم البابليُّون انَّ هـذا النمرود البابليّ باني الصرح كان اوَّل ملوك الارض بعد الطوفان وكان منهم نمرود ابراهيم (٢ عليهِ السلام وهو النمرود بن كنعان بن سنحاريب (٣ بن النمرود الاكبر باني الصرح. وكان منهم بخت نصر بن مروزاذان ابن سنحاريب (٣ من ولد نمرود الاصغر بن كنعان الذي غزا بني اسرائيل وقتل منهم خلقاً عظيماً وسبى بقيَّتهم وغزا مصر وافتتحها ودوَّخ كثيراً من البلدان ولم يزل ملك بخت نصر ببنـابل وجميع بلاد الكلدانيين الى ان ظهر عليهم الفرس وغلبوهم على مملكتهم وابادوا كثيراً منهم فدرست اخبارهم وطمست آثارهم

وكان من الكلدانيين علماء من اجلّ الناس فضلاً وحكماً متوسّعون في فنون المعارف من المهن التعليميَّة والعلوم الرياضيَّة والالهيَّة . وكانت لهم علوم بارصاد الكواكب وتحقُّق بعلم اسرار الفلك ومعرفة مشهورة بطبائع النجوم واحكامها وخواصّ المولَّدات وقواها. وهم نهجوا لاهل الشقّ الآخر من معمور الارض الطريق الى تدبير الهياكل (٤ لاستجلاب قوى الكواكب واظهار طبائعها وطرح شعاعاتها عليها بانواع القرابين المؤلفة لها وضروب التدابير المخصوصة بها فظهرت منهم الافاعيل الغريبة والنتائج العجيبة من انشاء الطلسمات وغيرها من صناعة السرّ

واشهر علمائهم عندنا واجلُّهم هو هرمس البابليّ وكان في عهد سقراط الفيلسوف اليوناني. وذكر عنهُ ابو معشر جعفر بن محمد بن عمر البلخي في كتاب الالوف انهُ هو الذي صحَّح كثيراً من كتب الاوائل في علوم النجوم وغيرهـا من اصناف الفلسفة ممَّا كان فسد وانهُ صنَّف كتباً كثيرة في علوم شتَّى. قال ابو معشر: والهرامس جماعة شتَّى منهم الهرمس الذي كان قبـل الطوفان الذي يزعم العبرانيون انهُ خنوخ النبي وهو ادريس عليهِ السلام. وكان بعد الطوفان (16) منهم عدَّة ذوو معرفة وتميز

---

١) ويعرف بابن الحائك توفي سنة ٣٣٤ ﻫ (٩٤٥ م)

٢) لم يأتِ في الآثار القديمة ذكر نمرود آخر غير البابلي ٣) في الاصل سنجادب

٤) يريد الهياكل ذات الطبقات السبع التي كانوا يبنونها للبأرات السبع

وكان المتقدّم منهم اثنان احدهما البابليّ الذي ذكرنا والآخر تلميذ فيثاغورس الحكيم من سكّان مصر

قال صاعد: وقد وصل الينا من مذهب هرمس البابليّ ما دلّ على تقدّمه في العلم من ذلك مذهبه في مطارح شعاعات الكواكب ومذهبهُ في قسمة بيوت الفلك. ومن ذلك كتبهُ في احكام النجوم مثل كتاب الطول وكتاب العرض وكتاب قضيب الذهب

ومن علمائهم بعد هرمس برجس صاحب كتاب اسرار النجوم في معرفة الفلك والدول والملاحم. ومنهم واليس صاحب كتاب الصور وكتاب اليرندج المؤلف في المواليد وتحاويلها والمدخل الى ذلك وكان ملكاً. ومنهم اصطفن البابليّ لهُ كتاب جليل في احكام النجوم وكان عند شعيب النبيّ عليه السلام

ولم يصل الينا من مذهب البابليين في حركات النجوم وصورة هيئة الفلك مذهب مستقصى ولا جملة (١ ولا عندنا من آدابهم في ذلك ولا من ارصادهم غير الارصاد التي نقلها عنهم بطلميوس اليوناني القلوذي في كتاب المجسطي فانهُ اضطرّ اليها في تصحيح حركات الكواكب المتحيرة اذ لم يجد لاصحابه اليونانيين في ذلك ارصاداً يثق بها

(لهُ بقيّة)

تاريخ آداب اللغة العربيّة

نظر انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي

ظهر هذا التأليف حديثاً وقد دبّجهُ يراع كاتب اغنى بمؤلفاته المكاتب الشرقيّة فاستحقّ ان يُعدّ بين اهل بلادنا كمثال النشاط والبحث وهو الاديب جرجي افندي زيدان منشئ الهلال. وقد اقبل الادباء على هذا المصنّف الجديد إقبالهم على المصنّفات السابقة فاثنوا عليه الثناء الطيّب الذي هو جديرٌ بهِ. ولسنا نشذّ عن هذه

---

١) قد اكتشف الاثريّون آثاراً فلكيّة عديدة في جملة المخطوطات المسمارية ونشروها بالطبع منهم الآباء اليسوعيّون الالمان سترابمر وبابنغ وكوغلر

الدائح ونحن اعلم بما يقتضيهِ كتاب مثل هـذا من المطالعات الواسعة والابحاث المملة ودقة النظر فبكل طيب خاطر نطرئ هـذا الأثر الجديد ونوصي بهِ اهل الادب عموماً وارباب المدارس خصوصاً

على اننا نعلم انَّ صاحب هذا الكتاب ارضى بنقيد عملهِ منهُ بمدحهِ مدحاً عقيماً لا يجدي بفائدة. وهذا ما حدا بنا الى درس الكتاب وامعان النظر فيهِ لبيان خواصهِ الحسنة التي اجاد بها الكاتب الفاضل وذكر بعض مناقصهِ التي يحسن اصلاحها في طبعة ثانية لتحصل على كتاب كامل من كل الوجوه يمكن اتخاذهُ كدستور مدرسي في نوادينا العلميَّة ومعاهدنا الادبية

*

واوَّل ما سرَّنا عند ظهور هذا الاثر الادبيّ انَّ عالماً شرقيًّا ذا استعداد سابق ومعارف واسعة تصدَّى لتأليف كهذا نحن فيهِ الى حاجة ماسَّة فانَّ ما نُشر من ذلك حتى الآن في اللغة العربية كخلاصة ادب اللغة لابراهيم افندي عبد الخالق وكتاب ادبيَّات اللغة العربيَّة للادباء عاطف بك ومحمد نصَّار واحمد ابراهيم وعبد الجواد وعبد المتعال (الجزء الاول) وكتاب ادب اللغة العربيَّة لمحمد حسن نائل المرصفي يدلُّ كلُّها على ضرورة وضع كتاب مستوفٍ لتاريخ الآداب العربيَّة فانَّ مصنَّفات هؤلاء الادباء مع فوائدها لا تفي بالمقصود وهي كما اقرَّ صاحب الفضل صالح افندي علي في تقريرهِ على تاريخ الادبيَّات العربيَّة الذي قدَّمهُ سنة ١٣٢٧ (١٩٠٩) اصاحب الدولة الامير محمد فؤاد باشا رئيس الجامعة المصريَّة " صورة مصغَّرة من كتاب مجاني الادب " الذي عنينا بنشرهِ قبل ثلاثين سنة ولا علاقة لهُ الَّا يسيرة بتاريخ الادبيَّات العربيَّة

فمن هذا القبيل قد فاق جناب جرجي افندي على سلفهِ بل جارى الكتبة الاوربيين الذين وجَّهوا النظر الى تاريخ آداب اللغة العربيـة كهامر پرغشتال (Hammer-Purgstall) وبروكلمان (Brockelmann) عند النمسويين والالمان وكأربثنوت (Arbuthnot) ونيكلسون (Nicholson) عند الانكليز وكدي ساسي (de Sacy) وهوار (Cl. Huart) وسيديليو (Sédillot) عند الفرنسويين وكدي باردي (G. F. de Bardi) وپيزّى (Pizzi) عند الايطاليين

وكجرجاس (Guirgass) عند المستشرقين فانَّ التأليف العربيَّ الجديد اغزر من هذه المصنَّفات الاوربيَّة مادَّة واكثر بحثاً

ثم نثني على وفرة الابحاث التي طرق المؤلف بابها وتتبَّع نتائجها واسبابها واستلفت اليها انظار الادباء

وكذلك سعى الكاتب بتنظيم هذه الابواب المختلفة فقدَّم عليها المقدَّمات التمهيديَّة لتحديد آداب اللغة ثم ألحقها بمنشورات في آداب اللغة قبل الاسلام مباشرةً بالجاهليَّة الاولى ثم الجاهليَّة الثانية منذ عهد التاريخ الى الزمن السابق للهجرة ثم اوائل الاسلام عند ظهور صاحبهِ الى عهد الخلفاء الراشدين ومنهُ الى اواخر دولة بني اميَّة وبها ينتهي الجزء الاول من الكتاب

وترى المؤلف في كل باب يعرض ما يراهُ اقرب الى الحقيقة دون تطرُّف ولا مبالغة ذاكرًا في آخر الباب او في ذيل الكتاب الاسانيد التي اعتمد عليها لاسيما التآليف الاسلامية القديمة كالاغاني وعمدة ابن الرشيق والبيان والتبيين للجاحظ والعقد الفريد لابن عبد ربّه والشعر والشعراء لابن قتيبة والمزهر للسيوطي وتاريخ الرسول لابن هشام وبعض التواريخ العموميَّة وتراجم الاعيان واخبار البلدان وكذلك راجع عدَّة مطبوعات اوربيَّة سرد جدولها في اوَّل الكتاب

فكل هذه المحاسن وغيرها ايضاً مما لا يخفى على الادباء فضلهُ تجعل لهذا الكتاب مقاماً جليلًا وتُحرز لصاحبهِ فخرًا نفع الله بهِ الآداب زمناً طويلًا

*

ومع ما عدَّدناه من محاسن الكتاب ووفرة موادّهِ وصعوبة جمعهِ لا عجب ان يكون وقع فيهِ بعض الخلل فنثبت هنا ما لحظنا من ذلك لينال عند تكرار طبعهِ سهماً جديداً من الحسن ويزيد اعتباراً في اعين الأدباء وها نحن نوردِ ملحوظاتنا على كلّ باب بالترتيب

١ً (المقدَّمات التمهيديَّة) تشغل هذه المقدَّمات عشر صفحات عرَّف بها الكاتب مفهومهُ بآداب اللغة ونعم ما فعل الَّا انهُ استطرد الى ما كان عنهُ في غنًى لانهُ لو اراد احد ايضاحهُ لاقتضى فصولًا واسعة فذكر نبذةً عن اسبق الامم الى العلم في وادي الفرات ووادي النيل وانتقالهُ منهما الى بقيَّة العالم وألحق ذلك بفصل

آخر في الآداب اليونانيَّة . وكلّ ذلك من التوافل وعلاقتهُ مع مقدَّمات الآداب العربيَّة بعيدة ولذلك لم يمكنهُ ان يقابل بين تلك الآداب الاجنبيَّة وهذه الآداب العربيَّة فكان ذكرها بلا فائدة

ثم عاد الكاتب الى موضوعهِ وخصَّ نظرهُ بالآداب العربيَّة وخواصها المميِّزة لها ثم قسمها الى ستة اقسام حسب اطوارها الستة اعني الخلفاء الراشدين ثمَّ بني اميَّة ثمَّ بني العبَّاس الى الاعصار الثلاثة الاخيرة المغولي والعثماني والحديث

وهناك اقوال رماها الكاتب على عواهنها بل بالغ فيها الى حدّ المغالاة وتجاوز كلّ معقول كقولهِ (ص ١٥) « انَّ العرب قدوة الناس في المعاجم العلميَّة والتاريخيَّة وفلسفة التاريخ » وكلّ يعلم انَّهُ ليس لدينا معجم علمي صحيح وانَّ العرب لم يكتبوا الَّا النزر القليل في فلسفة التاريخ . ومثلهُ قولهُ (ص ٢٠) « انَّ آداب اللغة العربيَّة اغنى آداب العالم » وانها « كانت اساساً لآداب كلّ امَّة ظهرت في اثناء التمدُّن الاسلامي او بعدهُ حتى في اوربَّا » فان اقوالاً كهذهِ لا تجوز علينا مهما كان حبُّنا عظيماً للغتنا العربيَّة ولآدابها

٢ (آداب اللغة العربيَّة قبل الاسلام) هو الفصل الاوَّل الذي جعلهُ الكاتب كمفتتح تأليفهِ وقد قسمهُ الى بابين ذكر في الاوَّل آداب اللغة العربيَّة في الجاهليَّة الاولى اعني من العهد السابق للتاريخ الى القرن الخامس للميلاد وفي الثاني آدابها في العصر الجاهليّ السابق للاسلام اي من القرن الخامس للمسيح الى الدعوة الاسلاميَّة . ومن العجب انَّهُ ختم الباب الاوَّل في اربع صفحات لم يذكر فيها غير امور يسيرة يرتاب في صحتها اخصها تاريخ حمورابي وشريعتهُ المكتشفة قبل عشر سنوات في شوشن فزعم انَّ حمورابي عربيّ الجنس وان دولتهُ في بابل دولة عربيَّة . وهو امر كثر فيهِ القال والقيل ولم يتفق عليهِ العلماء الاثبات فبنى عليهِ اساس كتابهِ وهو اساس رمليّ لا يجديهِ نفعاً ولو سلمنا لهُ بعربيَّة حمورابي . ثم زاد الامر التباساً بل خبط خبطَ عشواء لمَّا حاول (ص ٢٥ — ٢٦) ان يبيّن انَّ موسى الكليم استعار شريعة بني اسرائيل من شريعة حمورابي فتأثَّر اعتاب بعض المطلعين العصريين . العلَّة لم يعرف انَّ قوماً من كبار العلماء فنَّدوا تلك المزاعم الباطلة وبيَّنوا ما في شريعة موسى من الفضل على شريعة حمورابي ومن الاختلافات التي لا تحصى بينهما . امَّا ما يوجد بين الشريعتين من التوافق

فحملوه لا على نقل موسى لشريعة حمورابي بل على لسباب أخرى يطول بنا هنا شرحها فما كان اغنى بجرجي افندي ان يدع هـذه الابحاث في اوّل كتابه ولا ينقل عن نيلسن ما نقلهُ من امر حوريب وموسى النبي فقال:

فيرى نيلسن انّ حوريب مكان عبادة على نحو ما اخذهُ العرب عن الصابئة العراقيين من تقديس الجبال واقامة الحرم او الحمى حول المعابد بحيث لا يطأهُ الغرباء وانّ الغنم التي كان موسى يرعاها هي غنم الحرم وانّ النار التي رآهـا من رموز الصابئة عن الكواكب فلم يستطع موسى دخول الحرم لانهُ غريب فادخلهُ حموهُ وجعلهُ كاهنًا وعلّمهُ قواعد الدين. وانّ حوريب اسم الكوكب الذي يُعبَد هناك وفي اي حال فانّ موسى تعلّم الشريعة من يترو وهي شريعة حمورابي فادخل كثيرًا من احكامها في شريعته »

فيا لله كيف تساهل كاتبنا ان ينقل مثل هذه السخافات فيمحو بضربة قلم كلّ ما جاء في سفر الخروج من تاريخ الوحي لموسى بل جعل موسى كاهنًا وثنيًا من كهنة الصابئة يعبد الكواكب وكذّب كلّ الآيات التي وردت في الكتاب الكريم وجعلها خرافة. افهذا كلّ ما وجدهُ بجرجي افندي لتاريخ اصول الآداب العربيّة ؟

بلى ذكر ايضا سفر أيوب (ص ٢٦) واناطهُ بالتمدُّن البابلي (وهو العربي على زعمهِ) « على اثر نزوح الحموراببين من بين النهرين » وكل ذلك بلا دليل

وليس في هذا الباب شيء آخر وكان حقًّا انْ نطالب الكاتب بمباحث عديدة هنا محلّها فسكت عنها. فيا ترى أما كان في تلك المدّة شعوب يسكنون جزيرة العرب وماذا كان اصلهم ؟ وما هي اللغات التي كانوا يتكلمون بها ؟ اكانت العربيّة من جملتها ؟ وماذا يعرف عنها في التاريخ وفي التقليد وفي بقايا اللغات التي تأخرت الى الجاهليّة الثانية ؟ فقد ذكر الكتبة اليونان والرومان بعد المسيح لغةً يدعونها عربيّة فما هي هذه اللغة ؟ كذلك روى العرب قصائد وامثالًا يرقُون بعضها الى الاجيال السابقة لطور التاريخ (راجع المشرق ٦ : ٤٨٩) افيمكن اثبات صحة تلك الآثار تاريخيًا ؟ . وغيرها من الابحاث الجليلة التي لم تخطر على بال المؤلف وكان حقُّهُ ان يخوض في غمرها بدلًا من ذكر حمورابي وشريعته وقد اقرَّ (في الصفحة ٢٧) انّ حكمهُ في ذلك « مبني على الحدس والتخمين » فترك الجوهر ليتعقّب الاعراض وعدل عن اللب الى القشرة الفارغة سامحهُ الله

٣ (آداب العرب في الجاهليَّة الثانية) هو الباب الثاني من هذا الفصل وهو يستدعي من المباحث اجلَّها ومن المسائل ادقَّها . وغاية ما افرده لها جناب المؤلف تسع صفحات ويا ليتهُ دخل في المواضيع التي نحن اليها في اشتياق علَّهُ يفيدنا عنها علماً الَّا انَّه لم يمسَّها حقيقة فابتدأ (ص٢٧) بنبذة عن الفرق بين لغة الجاهليَّة الاولى والثانية اعني بين لغة حمورابي في شرائعهِ وهي الاشوريَّة وبين لغة مضر واهل البادية كأنَّهُ نسي انَّ في القرون الثلاثة السابقة للهجرة كانت في جزيرة العرب ثلاث دول عربيَّة ترقَّت الى اوج الحضارة والعمران اي الغساسنة والمناذرة والتبابعة وغاية ما وجدهُ هناك للمقابلة الكتابة التي وجدها العلَّامة دوسُّو في بعض جهات حوران على ضريح امرئ القيس بن عمرو بالخطّ النبطيّ في القرن الرابع للميلاد ثمَّ انتقل الى كلام اجماليّ عن ارتقاء اهل البادية في العقول والاخلاق وفي اللغة التي ضرب عليها بعض الامثلة في مفرداتها ثمَّ في التجارة والاقتصاد والتعقل واصالة الآراء ثمَّ ختم ذلك بذكر المرأة في الجاهليَّة من حيث الشجاعة والرأي والحزم والادب وكل ذلك بكلام وجيز لا يشبع جائعاً ولا يبلّ صدى عطشان

فيا رعاك الله أهذا كلّ ما يدخل في هذا الباب من الابحاث وقد ظهرت اللغة العربيَّة في هذا الطور بآثارها العديدة ومصنفاتها الشعريَّة التي لا تحصى فتراها لغة ثابتة الاصول بالغة الى اقصى درجات الضبط صرفاً ونحواً وبياناً أفما كان يجب البحث عن هذه البقايا وكيفيَّة جمعها واختلاف رواياتها وابداء الحكم في صحتها وسبب توافقها مع صدورها عن مصادر شتى وعن قبائل اختلفت لهجاتها وغير ذلك من المباحث التي لا مناص لكاتب يريد تدوين تاريخ آداب اللغة العربيَّة من خوض عُبابها

وذلك فضلاً عمَّا في هذه الصحائف القليلة من المزاعم التي تحتاج الى ادلَّة راهنة وبراهين قاطعة فلم يثبتها ببيِّنة كقولهِ (ص ٣٠) « انَّ العرب ارقى الامم سياسيًّا واجتماعيًّا وان عرفناهم بدواً رحَّالة » . فاثبت ذلك بذكر الالفاظ العربيَّة الدالَّة على الجماعات « كالشعب والقوم والنفر والجماعة واللجنة والسرب والكوكبة » وهو برهان ضعيف ونحن نعلم ان كثرة المرادفات العربيَّة مصدرها تعدُّد القبائل وليست بدليل على سعة العمران . وكثير من هذه المرادفات التي ذكرها ليست عربيَّة بل استعارها العرب من الامم المجاورة فسقطت بذلك حجَّتهُ . خذ مثلاً المرادفات التي ذكرها هناك

للكتابة وانواع الكتب فاكثرها اعجميَّة . فالقلم والقرطاس والسجلّ يونانيَّة او لاتينيَّة . والورق والطرس والطلس والصحف حبشيَّة . والانبوب والرقيم والسفر والمجلّة والمدرس والزمور عبرانيَّة او آراميَّة . والرهنامج فارسيَّة . وليس الاسل والصكّ والضبار واليراع والوصير افصح منها . فترى ماذا بقي من برهان جرجي افندي ؟ وقد تعجّبنا انَّهُ سند حجتهُ الى مثل هذه الدلائل الضعيفة . ومثلها ضعفاً حجتهُ (ص ٣١) في اثبات ارتقاء العرب في التجارة والاقتصاد لكثرة الالفاظ الدالَّة عندهم على المال . فان معظم تلك الالفاظ التي ذكرها ليست بعربيَّة الاصل ومثلها اسماء السُّفن وادوات الصناعة

٤ (اقسام آداب العرب قبل الاسلام) ثم تخطّى المؤلف (ص ٣٦) الى تقسيم الآداب العربية قبل الاسلام فقسمها الى اربعة اقسام : العلوم العربية والعلوم الطبيعيَّة والعلوم الرياضية وما وراء الطبيعة . فبين هذه الاقسام لا تستحقُّ الثالثةُ الاخيرة ذكرًا لانَّ ما قالهُ عن العلوم الطبيعيَّة وهي " الطب والبيطرة والخيل والانواء ومهابّ الرياح " لا يتجاوز ست صفحات (١٧٦—١٨١) وهو كلام اجماليّ لا يفيدنا افادة كبيرة عن معارف العرب الطبيعيَّة التي هي محصَّلات يسيرة اخذوها من جيرانهم الفرس او الروم او لا تتجاوز معرفتها المحسوسات كاسماء الكواكب والرياح واعضاء الجسم . وكذلك العلوم الرياضيَّة (١٨٢—١٨٦) فان ما ذكر من آثارها بين العرب في الجاهليَّة هو نزر قليل لا يُتَّخذ حجَّة لاسيما انَّهُ عدَّ الميثولوجيا من جملتها وشتان بين الرياضيات والميثولوجيا . اما ما لقَّبهُ بعلم " ما وراء الطبيعة " (١٨٧—١٩٠) فهو اسمٌ بلا جسم اراد بهِ الكهانة والعرافة والقيافة وزجر الطير وضرب الرمل وكلّها من الخرافات التي لا تستحقّ اسم العلم وكان الاولى بالكاتب ان يسكت عنها من ان يذلّل علم ما وراء الطبيعة بتنظيمها فيه . فبقي اذن كما قلنا القسم الاوَّل الذي وحدهُ يستلفت الانظار ويدخل في فحوى الكتاب اي « آداب اللغة العربيَّة »

وقد جعل المؤلف هذا القسم في سبعة ابواب : اللغة (٣٧—٥١) الامثال (٥٢—٥٣) الشعر الجاهلي (٥٤—١٦٧) الخطابة (١٦٨—١٧٠) الانساب (١٧١—١٧٢) الاخبار او التواريخ (١٧٢—١٧٣) اسواق العرب (١٧٣—

١٧٥) فترى ان بين الابواب فرقاً عظيماً في السعة فان الشعر وحدهُ يستغرق ١١٣ صفحة وبقيَّة الابواب كلها لا تزيد على ٢٨ صفحة منها ١٥ للغة

كان من الواجب ان يبحث المؤلف في باب اللغة قبيل كل شيء عن نسبة اللغة العربيَّة الى بقيَّة اللغات المعروفة بالساميَّة لنعرف الى اي قسم منها تُنسب كي يثبت بالمقابلة مكانها بين اللغات المتشابهة بها. نعم انهُ افرد فصلاً (ص ٤٦) لمميزات اللغة العربيَّة وخصائصها الَّا انَّ كلامهُ هناك يبقى مبهماً ملتبساً لذهولهِ عن هذا التعريف السابق. ولو بيَّن تقسيم اللغات الساميَّة الى لغات شماليَّة وهي الاشوريَّة والاراميَّة والكنعانيَّة ومنها الفينيقيَّة والعبرانيَّة والى لغات جنوبيَّة وهي اللغات الاسماعيليَّة واللغات اليمن والحبشة لعرف انَّ العربيَّة من جملة الطائفة الاخيرة دون الاولى وعدل عن الزعم (ص٤٧) استناداً الى هذا البرهان اللغوي بوحدة اصل العرب والحموراييين.

نعم ان العربيَّة تشبه الاشوريَّة بالاعراب ولكن لا يكفي ذلك للقول بانَّ الأمَّتين كانتا امَّةً واحدة تتكلمان لساناً واحداً معرَّباً ألا ترى انَّ وجوه الشبه بين العربيَّة والآراميَّة او العربيَّة والعبرانيَّة اعظم واوفر ولا احد يقول بوحدة العرب والآراميين او العرب والعبرانيين

وكم للمؤلف في هذا الباب من المزاعم التي تحتاج الى اثبات يرويها جنابهُ باسطر قليلة ويضرب عليها مثلاً خفيفاً لا يقتنع بهِ صاحب بحث كقولهِ هناك عن دقَّة التعبير (ص ٤٧) وعن الاعجاز والايجاز (ص ٤٨) والسجع (ص ٥٠) وغير ذلك ممَّا يتنكَّبه بهِ قارئ لم يتعنَّق بالدرس لكنَّهُ لا يرضي اديباً يتروَّى في الامور. هذا الى ما ضرب عنهُ صفحاً فلم يتعرَّض للبحث فيهِ البتَّة وكنَّا يودّ لو بُسط فيهِ الكلام وطُلب لمشكلهِ حلٌّ معقول كمسألة الفعل المجهول والجمع المكسر والتنوين وكلها من مميزات اللغة العربيَّة

ومثلهُ باب الامثال. كان ينبغي على المؤلف انَّ يخصَّ بنظرهِ امثال الجاهليَّة ويبيِّن خواصها ومميزاتها وكيف هي من ادلّ الدلائل على احوال اهل الجاهليَّة وعاداتهم وتاريخهم ولا يخلط بينها وبين الامثال التي تأخَّرت عن زمن الجاهليَّة وغايتهُ في هذا الباب ان يبحث عن آداب العربيَّة السابقة لعصر الاسلام لا عن سواها

قلنا انَّ باب الشعر اوسع الابواب في هذا القسم. وقد استفاد في كثير من

الابحاث التي قدّمها عليه من كتاب الاياذة لجناب سليمان افندي البستاني ونعم ما فعل وكذلك نقل كثيراً من كتاب العمدة لابن الرشيق وهو من امتع الكتب واغزرها مادّة ومع هذا فكم ترى بحثاً جليلاً فات المؤلف ولم يصرف اليه نظر النقد وراند الفكر . كالبحث في فصاحة الشعر الجاهلي اهذا الشعر أنشد كما رواه الرواة بعد الاسلام بمدّة طويلة او تصرّف فيه الرواة وضبطوه بعد ذلك على لغة قريش . وكالبحث عن اصل اوزان الشعر وما لها من العلاقة مع اوزان الامم المجاورة . والبحث في اديان الشعراء وما في قصائدهم من شواعر الدين والتوحيد والاشارات النصرانيّة والاقتباسات من الاسفار المقدّسة كما بيّناه في بعض مقالاتنا في المشرق . والبحث في طبقات الشعراء (ص ٧٦) وما السبب لجعل البعض في الطبقة الثانية دون الاولى . وماذا يُراد بتلك الطبقات . وكذلك كان من الواجب ان يفرد في هذا المقام بحث للمجاميع الشعريّة القديمة كالمفضليّات والحماسات والاصمعيّات مع بيان تاريخها وخطورتها . ثم لا نظنّ ان جناب المؤلف احسن في تقسيم شعراء الجاهليّة من حيث اغراضهم الى ١٣ طبقة (ص ٩٤ — ٩٦) اذ انّ هذا التقسيم يتداخل بعضهُ في البعض الآخر فان اصحاب المعلقات منهم امراء وملوك كامرئ القيس وعمرو بن كلثوم فيدخلون من هذا القبيل في طبقة الشعراء الامراء وكذلك منهم حكماء كزهير فيدخلون بذلك في جملة الشعراء الحكماء . كذلك طبقة الشعراء الفرسان يدخل بعضهم في طبقة الامراء او الوصّاف للخيل او الموالي . وكذلك الصعاليك ربّما دخلوا في طبقة العشاق . وخلاصتهُ انهُ لا يمكن افراز طبقة من طبقة فان المميزات التي ذكرها لكل طبقة لا توافق حقيقة الامر . وكان الاولى ان يقسم الشعراء امّا على حسب ازمنتهم او امكنتهم التي عاشوا فيها او على مقتضى اصولهم وقبائلهم

ويلي هذه المقدّمات عن الشعر الجاهلي ثمانون صفحة (٩٨ — ١٦٧) ضمّنها المؤلف نحو مئة ترجمة من تراجم الشعراء اقتطفها عن الكتب الشائعة كالاغاني وكالشعر والشعراء لابن قتيبة وخزانة الادب وكتابنا شعراء النصرانيّة

وما يقال اجمالاً عن التراجم انّها لا تفي بالمقصود نقلها الكاتب في اسطر قليلة مع ذكر بعض الابيات دون ان يبدي رأيهُ في حسن شعر كلّ شاعر او سوئهِ ويحكم في خواصّهِ وتأثيرهِ في القوم ونتائجهِ . فانّ تأثير الآداب العربيّة يقتضي

كلّ ذلك. ولعلّهُ لم يراجع بعض المطبوعات الاوربيَّة التي كان من شأنها ان توقفهُ على بعض هذه الفوائد كتآليف العلّامة دي ساسي (de Sacy) وكوسان دي پرسڤال (C. de Perceval) والمستشرق نولدك (Noeldeke) وغيرهم ممّن لم يذكرهم في جدولهِ

ثمّ لا نعلم كيف ادخل في سلك شعراء الجاهليَّة كثيرين من الشعراء الذين عاشوا في الاسلام زمناً طويلاً حتّى خمسين سنة بنيّف كالحطيئة الذي عاش الى زمن بني اميّة (ص ١٥٠) وحسّان بن ثابت (ص ١٥٢) المتوفّى على قولهِ سنة ٥٤ للهجرة. ومعن بن اوس (ص ١٦٣) الوافد على عمر بن الخطّاب الخ

وكذلك لم يفدنا جنابهُ على سبب تدوينهِ لتواريخ بعض الشعراء فانّ كثيراً منها لايصحّ مع ما نعلمهُ من اخبار اصحابها فانّهُ جعل مثلاً وفاة الشنفري (ص ١٤٤) في السنة ٥١٠ ويؤخذ من اخبارهِ انّهُ عاش بعد هذه المدّة زمناً طويلاً. وكذلك روى وفاة طرفة بن العبد في السنة ٥٥٠ وتعلم من اخبارهِ انّهُ قُتل لهجوهِ الملك عمرو بن هند الذي ملك بعد ذلك بنحو ١٢ سنة فلا بدّ اذن من تأخير وفاتهِ الى سنة ٥٦٥ تقريباً. وكذا يقال (ص ١٢٦) عن زهير بن جناب الذي عيّن لوفاتهِ سنة ٥٠٠ م وفي اخبارهِ ما يشير الى وفودهِ على ملك الحيرة المنذر بن ماء السماء وعلى ابرهة ملك الحبشة فاتح اليمن وهذا ما يوجب تأجيل موتهِ الى نحو السنة ٥٥٠ وقس عليهِ تواريخ أخرى تحتاج الى زيادة نظر وضبط كقولهِ (ص ٣٩) انّ اضطهاد ذي نوّاس لنصارى اليمن كان في القرن الخامس للميلاد والصواب في العشر الثاني من السادس

هذا ولا نطيل الكلام في الخطابة (ص ١٦٨) والانساب (١٧١) والاخبار او التاريخ (ص ١٧٢) لان المؤلف لم يزدنا علماً على ما يعرفهُ مَن لهُ إلمام يشيء من تاريخ العرب. امّا اسواق الجاهليَّة فامكن جنابهُ ان يشير الى مقالة حسنة كتبها في المشرق (١ : ٨٦٥) الاديب شكري افندي الالوسي

﴿ عصر الراشدين ﴾ هذا القسم يتناول تاريخ الاداب العربيَّة من بدء الهجرة الى سنة مبايعة معاوية بن سفيان اوّل ملوك بني اميَّة اعني مدّة اربعين سنة تولّى فيها الامر صاحب الشريعة الاسلاميَّة ثمّ خلفاؤهُ الاربعة اعني ابا بكر ثم عمر بن

الخطاب ثمَّ عثمان بن عفان ثمَّ علي بن ابي طالب مع ولديهِ الحسن والحسين. وقد حشر جورجي افندي تاريخ الآداب مدَّة تلك الحقبة في ١٦ صفحة بحث فيها اولًا عن التغيير الذي احدثهُ الاسلام في العرب ثمَّ تأثير ذلك التغيير في آداب اللغة من شعر وخطابة وانشاء وعلوم قرآنيَّة وختم ذلك بفصل عن الخطّ العربيّ

وهذه الابحاث حسنة لكنها مع فائدتها تحتاج الى زيادة في الانتقاد وتعمُّق في البحث كمقابلتهِ بين خطباء الرومان واليونان وبين خطباء العرب حتى كاد يفضّل هؤلاء على اولئك فقال (ص ١٩٤) : « العرب لم يأتوا باقلّ ممَّا أتى بهِ اولئك بلاغةً ووقعاً وربَّما كان الخطباء في الاسلام اكثر عددًا وخطبهم اوفر وابلغ » وهو قول فيهِ اجحاف بحقوق الرومان واليونان ولو اطَّلع جنابهُ على خطبهم لرأى انَّ الفرق بينهم كفرق الثريَّا والثرى. فان الخطابة بلغت عند الرومان واليونان شأوًا لم يدركهُ العرب. وخطب العرب مهما كانت بلاغتُها لبعيدةٌ جدًّا عن بلاغة خطب اليونان واساليبها. وكأنَّ المؤلّف شعر بافراطهِ فزاد قولهُ « مع اعتبار الفرق بين الأمَّتين لغةً وخلقًا وادبًا » وكفى بهِ اقرارًا لطيفًا بتقدُّم اليونان والرومان

وكذلك قولهُ في الشعر وتقهقرهِ في ذلك الطور كان يجب على الكاتب ان يتَّسع فيهِ ويبيّن الاسباب التي ادَّت الى ذلك الخلل فانهُ ذكر بعضها وسها عن بعضها الآخر وفي اقوال القدماء ما يكشف القناع عن الامر

اما العلوم القرآنيَّة التي كتب فيها صفحتين فقط فانَّها تستدعي ابحاثًا طويلة تراها في كتاب الاتقان في علوم القرآن للسيوطي وفي كتاب الفهرست وغير ذلك ولعلَّ جنابهُ فضَّل الحيادة عن هذه الابحاث التي اتَّسع فيها المستشرقون ولا يحبُّ المسلمون ان يكتب فيها غير اهل ملَّتهم

ليس بحث الكاتب الاديب في الخطّ العربيّ من الشواغل فاحسن بالكلام عنهُ ولكن كان يجب ان يستعين بما كتبهُ الفرنج في ذلك بعد الاكتشافات المستحدثة من الرقّ والبابير والكتابات الحجريَّة قبل الاسلام فكان زاد بذلك بحثهُ وضوحاً

﴿ العصر الاموي ﴾ هو الفصل الاخير من هذا الجزء خصَّهُ المؤلف بآداب اللغة العربيَّة مدَّة دولة بني اميَّة منذ ظهورها سنة ٤١ الى سقوطها بفوز بني العبَّاس عليها

وهو لا يقلّ عن ١٠٨ صفحات افتتحهُ بكلام اجمالي عن مميزات هذا الطور (٢٠٧—٢١٣) والعلوم الشرعيَّة واللسانيَّة التي انتشرت في مدَّتهِ (٢١٥—٢٣٤) وخصَّ الباقي (٢٣٥—٣٠٨) بالشعر والشعراء وختم (٣٠٩—٣١٥) ببعض الملحوظات التي جعلها كخاتمة ابحاثهِ

احسن المؤلف في بيان حالة العرب من الاختلاف وتنازع السلطة في اوائل دولة بني اميَّة. وكذلك اصاب بذكر آداب الروم واليونان والفرس عند الفتح الاسلامي لكننا لا نوافقهُ في قولهِ (ص ٢١١) عن انحطاط مدارس تلك الامم فنسبهُ زورًا « الى مقاومة رجال الدين » وكذلك وهمَ بقولهِ « انَّ كتب الفلسفة أُهملت لانَّها في نظر رجال الدين عثرةٌ في سبيل الدين » فلعمري من عُني بكتب الفلسفة وتأليفها وشرحها كرجال الدين ؟ ومن يدرسها اليوم كما يدرسها اهل الدين ؟ وفي زمن الفتوح الاسلامي كان معلّمو الفلسفة ومفسّرو ارسطو اكثرهم من رجال الدين. فان كان وقع بعض الاهمال في تلك الدروس فالدين منهُ براء. ولساء جرجي افندي الظنّ برجال الدين اذ نسب اليهم اعتبار الفلسفة كعثرة في سبيل معتقدهم

ولا نتبع المؤلف في كلّ باب من ابواب العلوم الاسلاميَّة فانهُ اختصر بنوع واضح ما كتبهُ العرب عن اصول العلوم الشرعيَّة كالقراءة والتفسير والحديث والفقه واصول العلوم اللسانيَّة كالصرف والنحو وضوابط القراءة وعن العلوم التاريخيَّة والجغرافية وقد وافقنا في كلّ ما كتبنا في مقالتنا عن علوم العرب (في المشرق ص ٢٩٩—٣٠٧) فقلنا انَّ معارفهم في تلك الحقبة كانت بعدُ في نشأتها ولم تنضج الَّا بعد الدولة الاموية فبقيت تلك المعارف بالتقليد الشفاهي حتى قام العلماء بعد ذلك في عهد بني العبَّاس فاخرجوها الى حيز الوجود. واوَّل كتاب ظهر على يد العرب كان في اواسط القرن الثاني للهجرة كما روى الحاج خليفة (اطلب قولهُ في المشرق ص ٣٠٣—٣٠٤) امَّا المدارس والدروس المنظَّمة فلم نجد لها اثرًا في تلك المدَّة وأضرب عنها جرجي افندي لعلمهِ بانَّها لم تُذكر في ايَّام الدولة الاموية وخلفاؤها مشغولون بحروبهم او منهمكون في لذَّاتهم لكنَّ الانصاف كان يقضي عليهِ بذكر ذلك الاهمال بل أقفل كثير من مكاتب النصارى كمدرسة نصيبين الشهيرة وبقي التدريس منزويًا في بعض الاديرة الرهبانيَّة المعتزلة

وكأنَّ الشعر في هـذا العهد ايضاً بقي علم العرب المفضَّل وديوانهم الاعلى ولذلك خصَّ بهِ المؤلف معظم هذا القسم الاخير من كتابهِ (من ص ٢٣٥ الى ٣١٢) وطريقتهُ في وصف الشعر والشعراء كطريقتهِ في القسم السابق. قدَّم عليهِ ملحوظات عموميَّة في مزايا الشعر في العصر الامويّ وزعم انَّهُ امتاز بخلوهِ من وحشيّ الكلام وبكثرة التشبيب والنسيب والمهاجيات ووصف الخمر الَّا انَّ هذه المزايا يمكن اثباتها للجاهليَّة ايضاً او لعصر العبَّاسيّين وعلى كلّ حال لا بُدَّ لبيان زعمهِ من بيِّنات اوضح واوفر. افيرى مثلاً جنابهُ انَّ شعر الفرزدق وجرير واصحاب الاراجيز اخلى من الوحشي من شعر النابغة والاعشى ؟

وممن يستحقون ذكرًا خاصًّا بين شعراء بني أُميَّة الاخطل وجرير والفرزدق فذكرهم المؤلف الَّا انَّ كلامهُ فيهم بعد نشر دواوينهم واخبارهم في مؤلفات عديدة ظهرت في هذه السنين الاخيرة ليس بكافٍ

وكذلك اشار اشارةً خفيفة الى روَّية إمام الراجزين وكان اجدر بالذكر من غيرهِ وقد طبع ديوانهُ هلوردت مع اراجيز الزفيان

وقد ختم الكاتب الاديب هذا الفصل (ص ٣٠٩) ببعض فصول رأى لها علاقة بالشعر والشعراء كاستحثاث الشعراء لقرائحهم وجهل الشعراء للقراءة. ومن الفصول الظريفة التي هناك فصل عنوانهُ « شياطين الشعراء » (ص ٣١٠) روى المؤلف ما كانوا يزعمون من ايحاء الشياطين بالشعر لشعرائهم. وكان الاولى ان لا يطرق هذا الباب او يبحث فيهِ بحثاً علمياً فانَّ جنابهُ انكر غير مرة في الهلال (اطلب المشرق ١ : ٢٣٨) وجود الشياطين فكيف عاد الى هذا الامر دون ان يبدي فيهِ رأياً .

وعندنا انَّ شياطين الشعراء عند العرب انَّما كانوا بمثابة ما تخيَّلهُ اليونان والرومان من إلهات الشعر (les Muses) كانوا يلتجئون اليهم في نظم قصائدهم

واردف الكاتب كلامهُ بفصل قصير عن الخطابة والانشاء في العصر الاموي وكان حقُّهُ ان يتسع في هذا الموضوع ويصف ما صبر من ذلك العهد على آفات الزمان من خطب وروايات ورسائل فيدرسها درساً مدققاً وهي من بواكير المصنفات النثريَّة التي نقلها الرواة الأثبات منها رسائل عبد الحميد الكاتب الذي ضُرب المثل في بلاغتهِ ولهُ رسائل مستجادة نشر قسماً منها الشيخ المفضال طاهر افندي الجزائري في

المقتبس ثمَّ طُبع على حدة ومن اعمل فيها نظر الفكر وجدهـا من افضل آثار ذاك العهد لفظاً ومعنى. ومنها كتاب كليلة ودمنة الذي يُعتبر تعريبهُ كفاتحة التعريبات عن الكتب الاجنبيّة

هذه ملحوظاتنـا على كتاب تاريخ الآداب العربيَّة كتبناها بسرعة ولم يسمح لنا ضيق الوقت ان نتتبع كلّ فصول الكتاب باباً باباً ولا شكّ ان المؤلف اذا تروّى في عملهِ يجد فيهِ غير ما حرَّرناهُ في هذه العجالة. ونكرّر في الختـام شكرنا لجنابهِ مؤمّلين ان نرى عمّا قليـل الاجزاء التالية جامعة لاسباب الحسن والاتقان

الانجيل الشريف

بحث نظري تاريخي للاب اطون رباط اليسوعي (تابع)

الفصل الثالث

في ان الاناجيل المقدسة صادقة المقال

بعد ان اثبتنا نسبة الاسفار الانجيليَّة الى المؤلفين المعزوَّة اليهم اي الى الرسولين متّى ويوحنا والرسوليَّين مرقس ولوقا واستفتينا التـاريخ والنقد العلمي فأفتيا ببراءة اسفارهم من كل تحريف وتزييف وانها هي كما خطَّتها يمين المؤرخين المختارين قد بلغنا الآن الى المرحلة الثالثة من ابحاثنا الانجيليَّة وهي النقد العلمي لتآليفهم لنعرف نصيبها من الصدق. يدّعي كتبة العهد الجديد انهم يشهدون للحقيقة ويبشرون بما رأوا وسمعوا وتأملوا ولمستهُ ايديهم من جهة كلمة الحياة ابن الله المتجسد (رسالة يوحنا الاولى ١ : ١) ولكن انّى لنا ان نتثبّت صدق مدّعاهم؟ وما هي حجّتهم في حقيقة ما اخبروا؟

ومن ثمَّ يرى القارئ الاديب عظم خطورة هذا البحث الاساسي. فما الفائدة من كتابة عرفتَ صاحبها وتأكدتَ براءتها من التحريف اذا كان مؤلفها ممَّن لا يوثق بكلامهِ وان عرضتها على محكّ النقد بانَ اختلاقها للعيـان. لا سيَّما وان الموضوع ليس ممَّا لا يُعتدّ به ولا يُكترث لهُ فهو اهمّ المواضيع لِما وراء قبولهِ او رفضهِ

من النتائج والتبعات العمليَّة. فان كان الانجيل حقًّا وناشروه صادقين في ما شهدوا كان الدين المسيحي وحدهُ الدين القويم الذي ارادهُ الله لعبادهِ ووجب عليك الاقرار بتعليمهِ والسير على سراط احكامهِ وان كانوا على خلاف ذلك قد خدعونا بالكذب كنَّا وملايين من البشر منذ تسعة عشر قرناً ولا نزال متمسكين في الظلمات « فإيماننا باطل » بل نحن كما سبق فأعلن بولس الرسول « اشقى الناس اجمعين » (١ كو ١٥ : ١٩)

وهنا نكرّر على مسامع القارئ اننا معشر النصارى من كل الملل والشعوب نؤمن بوحي الانجيل اي نعتقدهُ كتاب الله وانهُ من ثمَّ بريٌّ من كل غشّ وضلال مجملًا ومفصلًا. وحاشاك ان تنسب الخداع الى الله وهو الحق سبحانهُ لا يَغُشّ ولا يُغَشّ. وكلُّ من يؤمن معنا ان الانجيل كتابُ الله انزلهُ هدًى ونورًا يقرُّ معنا بصدق مقاله فلا خلاف الآن بيننا وقد سبق لنا فاثبتنا علنيًا ان النصارى لم يحرّفوا الكلم عن موضعهِ. وان السفر الجليل كان ولا يزال بريئاً من كل تحريف معنوي ولفظي وحجَّتنا العلميَّة على ذلك لا تُردّ. لكنَّنا نواصل بحثنا هذا على لسارب علمي بمعزل عن الاعتقاد والوحي ليكون القارئ على بيِّنة من امر ايماننا سواء كان مؤمناً او غير مؤمن فيضطرهُ التاريخ والنقد والعلم الى الاقرار لنا بالحقيقة

﴿ صفات الشهادة الانجيليَّة ﴾ تمتاز الاناجيل عن غيرها من الكتب بصفات منها انها ليست مباحث علميَّة ولا منطقيَّة ولا بيانيَّة فيها يقدّم الكاتب مبدأ يتحرّى اثباتهُ بالبرهان النظريّ او النقليّ او يعرض قضيَّة نظرية على مثال الفلاسفة فيشرح الفاظها ويبيّن معانيها ويوضح صدقها. فالرسل عموماً والكتبة الانجيليون خصوصاً ليسوا الَّا « شهودًا » ينقلون ما سمعوا ويصفون ما رأوا فقط فهم يتوارون وراء شهادتهم لا يشعر بهم القارئ كأن الكاتب مجرَّد عن كلّ عاطفة إعجاب او انذهال امام اسمى ما ينقل من الاقوال والآيات والمعجزات وعن عاطفة غيظ او حنق امام اقصى درجات الخيانة وعلائم نكران المعروف. فقد جعلوا نصب عينهم غاية واحدة هي « الشهادة » لاقوال المسيح الرب واعمالهِ اجابةً لأمرهِ حيث كرَّر عليهم قائلًا انهم « الشهود لهُ في اورشليم وجميع اليهودية وفي السامرة والى اقصى الارض » (اعمال ١ : ٨ ولوقا ٢٤ : ٤٨) فلا يطمعون بفصاحة الكلام ولا يدّعون القدرة على

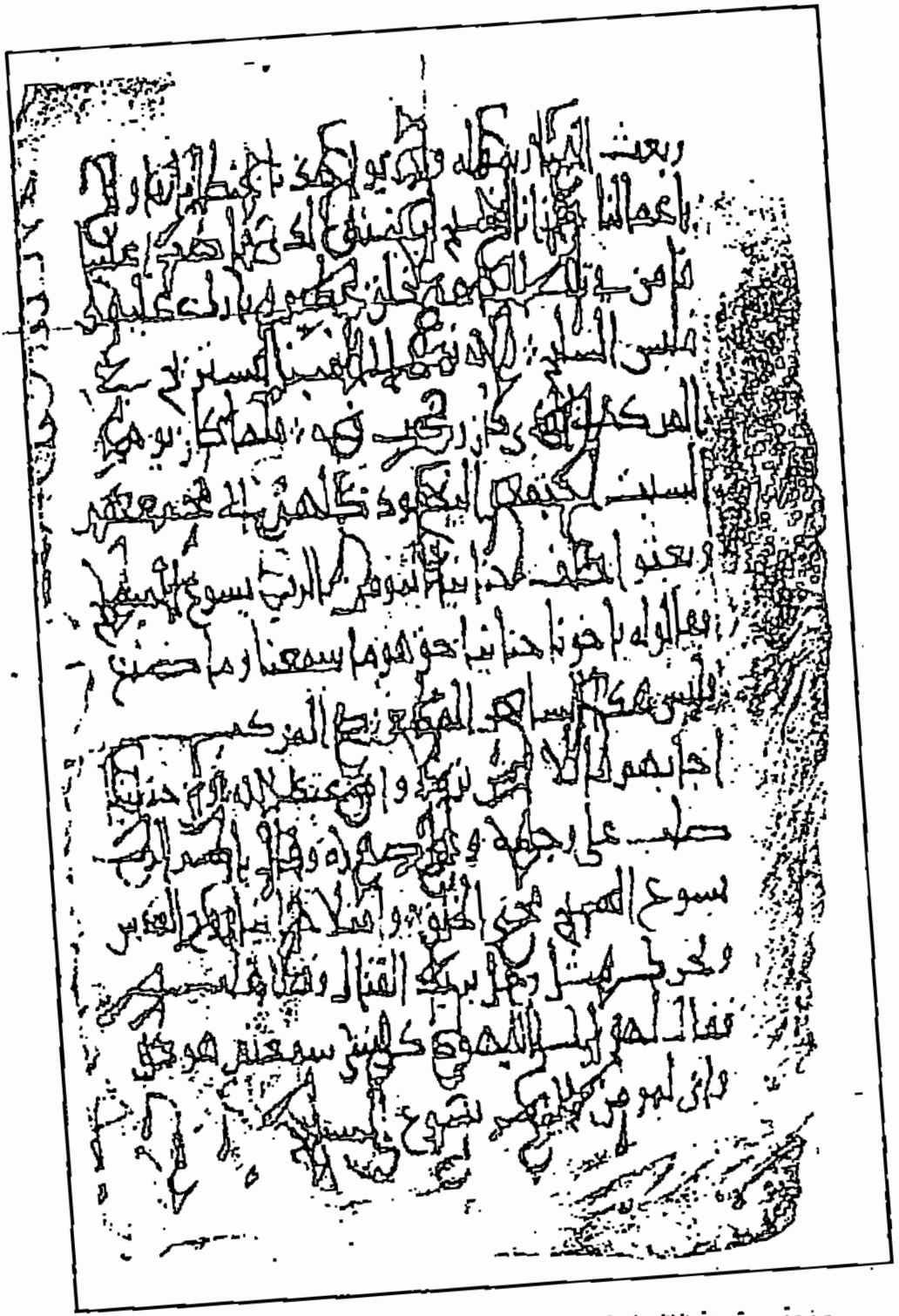

صفحة من ترجمة الاناجيل البسيطة (يوحنا ٦ : ٥٣-٥٨) بالخط السرياني السطرنجلي من القرن الخامس كتبت على رق ثم غسيت فكتب عليها خط عربي احدث (Studia Syriaca XI)

الجدال لاقناع السامعين لكنهم يشهدون لآيات الرب ودعوته ووعده ووعيده وعجائبه وموته وقيامته من الموت ويؤكدون حقيقتها بقولهم «نحن كنا شهود بذلك» (اعمال ٢ : ٣٢ و٣ : ١٥ و٥ : ٣٢ و١٠ : ٣٩)

ولكن ليس كل من يدّعي الشهادة جديرًا بالتصديق وكثيرًا ما شهد الشهود زورًا كما نراه بامّ العين. فقد يكون الشاهد خدّاعًا كاذبًا اختلق الحوادث او زاد فيها وانقص منها فسخها فتُنكر عليه الصدق. او يكون جاهلًا او مخدوعًا أُضِلّ فضَلّ فتنكر عليه معرفة الحقيقة

وكذلك الانجيليون والرسل. فقد يكونون قد زوّروا علينا الاخبار عمدًا واختلقوها وافتروا علينا فأضلّونا لغايات في الصدور فليسوا برواة ثقة ولا بشهود عدل لكنهم خدّاعون ومضلّون. وقد يكونون ضُلّوا وخُدعوا فأضلّونا وخدعونا لا عمدًا لكن عن جهل او سذاجة او حماقة. وبصريح الكلام فهم غشاشون او مغشوشون ومضلّون او ضالون. وفي كلتا الحالتين يرذل العاقل شهادتهم وينبذها نبذ النواة

هذا محور الاستقراء والامتحان في المحاكم. فاجلس ان شئتَ على منصة الحكم والقِ عنك الاوهام واسعَ وراء الحقيقة بصدق سريرة وخلوص نيّة واستنطق الشهود واعرض كلامهم على محكّ النقد بلا محاباة ولا خشية فالذهبُ ذهبٌ ولو امتُحن بالنار والدينُ القويم لا يخشى علمًا ولا نقدًا. وها نحن نعضدك في استنباط كل ما يمكن الاعتراض به عليهم. فاذا تمحص لك الحق لا تكن غير مؤمن لكن مؤمنًا

القسم الاول

في براءة الانجيليين من الغش والخداع

ما من احد يجهل ان اسفار الانجيل الاربعة تلخص سيرة ابن الله المتجسد على الارض فتصف ميلادهُ وعيشتهُ الخفيّة وبشارتهُ وتعاليمهُ وعجائبهُ واضطهاد اليهود لهُ ثمّ صلبهُ وموتهُ وقيامتهُ من بين الاموات وظهورهُ للرسل ولعدد من التلامذة وامره لهم ان يذهبوا ويبشروا ويتلمذوا الامم والشعوب ويشهدوا لكل ما رأوا

وسمعوا لا يهابون الموت حبًا به. هذا ملخص الخبر الانجيلي فهل للمعارض ان يقابل بالنكران كلّ ما جاء في الاسفار الاربعة فيرفضها مدّعياً انها باجمعها رواية تخيلية لا اصل لها. لكن هذا القول هو ضرب من الحماقة لم يرضَ بهِ عاقل ولا يليق بنا ان نبحث فيه

وقد لا ينكر الخصم ما جاء في الاناجيل عن حياة يسوع الزمنية ولكنهُ ينبذ كلّ ما يراهُ عجيباً يفوق قدرة الطبيعة فيلقي على روايتهِ الشبهات ويسعى في شرحهِ شرحاً طبيعياً او اذا لم يستطع الى ذلك سبيلًا ينكرهُ بتاتاً وينسب الى الكتبة الغشّ او الضلال. هذا ما صنعهُ الملحدون والمعطّلون والكفرة في الاجيال السالفة وبالغوا بهِ في ايامنا. فاذا سألتهم عن السبب اجابوك مع رينان « ان المبدأ الذي لا يحيدون عنهُ هو عدم الرضى بالعمل ايًّا كان اذا فاق قدرة الطبيعة ونكران كل ما يُسمى اعجوبة. فاذا وجدوا في الانجيل شيئاً من ذلك عزَوهُ إمَّا لخداع الشاهد وإمَّا لجهلهِ ». واذا استطلعت طالعَ حجّتهم على هذا المبدإ المزعوم قالوا إنهم لا يرضون الّا بما يثبتهُ العلم بالاستقراء الحسّي. فاذا تصدَّيت لهم وبيَّنت انَّ العجائب لمَّا يمكن اثباتهُ بالاستقراء الحسّي فان الميت مثلًا اذا دُفن ثمَّ قام من القبر معافى لمَّا تتأكدْ بالنظر والسمع واللمس وغيرها من الحواس وان الشهادة التاريخيَّة اذا استوفت شروطها ممَّا يوجب الاقناع رفضوا الجدال مستندين الى مبدأهم العلمي. لكن العلم براء من زعمهم ووهمهم. فالعالم مَن يستقرئ الحوادث ويثبتها ثم يسعى فيحلّ مشاكلها قدر طاقتهِ ليس من يخترع مبدأ ويحوّل اليهِ الحوادث بالرغم عنها غير مكترث بالتاريخ والنقد والشهادة

واذا نقَّبت عن كنه معتقدهم رأيتهم جاحدين للخالق عزّ وجلّ منكرين لوجوده وقدرتهِ لا يرضون الّا بالمادة. فمع هؤلاء وامثالهم لا سبيل الى البحث ولا فائدة ان لم يؤمنوا بالنفس البشرية وبمبدع الاكوان القدير العليم وبالحياة الاخرى وإلّا كان الجدال عبثاً. على انهم وإن عاندوا الحقيقة وصمّوا الاذن واغمضوا العين عن مسمعها ومرآها الوضّاح لا يستطيعون ان يضربوا صفحاً عن مسألة الدين فهو حادث تاريخي وسرّ غريب

وُجد شخص ادعى انهُ مرسل من الله وانهُ الهٌ وعمل اعمالًا عجيبة ومات صلباً

وقام فآمن بهِ العالم وكسروا الاصنام وعبدوا المصلوب وانقلبت من جرَّائهِ احوال المسكونة وترقَّت في سلَّم التمدن والعمران. فمن ذا الرجل وما هي اعماله ؟

﴿ التمييز بين الشاهد الصادق وشاهد الزور ﴾ مهما سعى المخادعون إلباس خداعهم لباس الصدق لا بدَّ ان يظهر للعيان عاجلًا او آجلا فيعودون خاسرين لان « حبل الكذب قصير » كما يقول المثل الدارج وكيفما ارتدى الذئب بثوب الحمل فيبدو ذَنَبهُ فيُعرف ويُطرد

والكشف عن الحقيقة يقوم بالنقد والبحث في احوال الشهود ومعرفتهم للحوادث التي ينقلونها كأنهم رأوها او اطَّلعوا عليها وفابحتهم وطباعهم وحركاتهم وكلامهم وغايتهم من الشهادة وفائدتهم منها ومعارضة اقوالهم مع بعضها ومع غيرها من الاقوال والآثار والشهادات الثابتة الى غير ذلك من البينات التي بها تُكشف الرغوة عن الصريح فيُميَّز بين الصادق والكاذب والامين والمخادع. فهلمَّ بنا نتتبَّع هذه المباحث فنستنطق الانجيليين ونطالبهم بكل ما لدينا ولدى الاخصام من التُّهم والشبهات والشكاوي عسانا نصل الى الحقيقة العلميَّة المرغوبة

١ معرفة الانجيليين للحوادث التي يصفونها

اثبتنا في فصلنا الاول نسبة الاسفار الانجيليَّة الاربعة الى متى ومرقس ولوقا ويوحنا بالبرهان النقلي واقرار الكتبة فعلينا الآن ان نؤكدهُ بالنقد الداخلي ايضاً فيظهر لكل ذي بصيرة انهم عيانيون شاهدوا او سمعوا وتاكدوا ما سمعوا فهم احرياء بالتصديق

﴿ متى ﴾ ويُسمَّى لاوي ايضاً كان وكيلًا على جمع العشور في كفرناحوم وضواحيها وكان جالساً على مائدة الجباية عند ما مرَّ يسوع فقال لهُ « اتبعني » فقام وتبعهُ (متى ٩:٩ و١٠:٣ ومرقس ١٤:٣ ولوقا ٢٧:٥) ورافق المخلص في مدة البشارة وشاهده بعد قيامته وبشر بهِ في انحاء الشرق. قال قوم انهُ ذهب الى بلاد العرب والعجم وقال آخرون انهُ بشر في انحاء ما بين النهرين وفي الحبشة

وقبل انفراط سلك الرسل وتفرقهم في اقطار المسكونة للبشارة اي نحو السنة الثانية عشرة لقيامة المخلص كتب سفره الجليل لفائدة مواطنيهِ العبرانيين المتنصرين

ألَّفهُ باللغة الارامية ومنها نُقل او نقلهُ مولفهُ المختار الى اللغة اليونانية

﴿ مرقس ﴾ يعتقد جمهور الاقدمين والمحدثين المدققين انهُ يوحنا مرقس الذي ورد ذكرهُ في اعمال الرسل ورسائلهم . اسم امهِ مريم كانت تسكن اورشليم والى بيتها لجأ بطرس عند ما اخرجهُ الملاك من الحبس . قال لوقا البشير : وتوجه [بطرس] الى مريم امّ يوحنا الملقَّب مرقس حيث كان قوم كثيرون مجتمعين يصلُّون (اعمال ١٢ : ١٢) وذهب قوم انهُ الشاب الذي ورد ذكرهُ في وصف آلام المخلص (مرقس ١٤ : ٥١) . ولم يكن مرقس رسولاً لكنهُ لحق بالرسل بعد القيامة فرافق بولس وبرنابا الى انطاكية سنة ٤٤ للميلاد وبشر معهما في قبرص وبمفيلية ثم عاد الى اورشليم . وفي سنة ٥١ نراه في انطاكية (اعمال ١٥ : ٣٦ الخ) ثم في رومية سنة ٦١ برفقة بولس (كولو ٤ : ١٠ وتيموثاوس ٢ تيمو ٤ : ٨ و ١١) وسنة ٦٤ برفقة بطرس هامة الرسل (١ بطرس ١ : ١) الذي اتخذه لهُ كاتباً وترجماناً وارسلهُ الى الاسكندرية فاسس كرسيها باسم معلمهِ كما جاء في الآثار العتيقة الموثوق بصدقها . وقد كتب سفره بعد ان سمع من معلمهِ ومن سائر الرسل سيرة المخلص واعماله . قال رنان : « ترى في هذا السفر كأن الكاتب يصوّر الحوادث امام ناظرك فهو ينقل تذكرات حقيقيَّة حيَّة يكتبها بنفس حي »

﴿ لوقا ﴾ انطاكي الاصل ولد من ابوين وثنيين وتلقى الدروس الطبية والادبيَّة فبرع فيها كما يظهر لنا من سفره الانجيلي وكتاب اعمال الرسل ودخل في النصرانيَّة منذ اول انتشارها وتتلمذ لبولس ورافقهُ في كلّ اسفارهِ وسمع البشارة الشفاهيَّة من برنابا وفيلبوس وبطرس ويعقوب وغيرهم (اعمال ٢١ : ٨ و ١٨ الخ) وكتب الانجيل بايعاز بولس وبعد البحث والتدقيق والتروي كما اخبر في فاتحته (لوقا ١ : ٣) والحقهُ في السنة ٦٢ او ٦٣ بكتاب اعمال الرسل . ذهب جمهور الشارحين الكاثوليكيين وعدد من البروتستانت مثل فرّار (Farrar) وكوده (Godet) وساندي (Sanday) انهُ قابل العذراء امّ المسيح لما في انجيلهِ من وصف عواطفها السريَّة (لوقا ٢ : ١٩ و ٥١) ونقل فقرات الفصلين الاولين كما سمعها بتعبيرها الارامي الذي يختلف عن سائر فصول انجيلهِ

﴿ يوحنا ﴾ التلميذ الذي احبهُ الرب لسلامة سريرتهِ وطهارة قلبهِ تبع المسيح

منذ البدء حتى الصليب واخباره مذكورة في الانجيل والاعمال. بشر سنين في بلاد فلسطين ثم جاء الى افسس وهناك علّم وكرز وتتلمذ لهُ الكثيرون من الآباء الاولين واضطُهد في رومية ونُفي الى بطموس. ومنها عاد الى افسس حيث مات في شيخوخة جليلة في اواخر القرن الاول للميلاد وقد كتب انجيلهُ الالهي بين سنة ٨٥ و٩٥ للميلاد

شهد البشير الطاهر لذاتهِ مرارًا في سفرهِ (١ : ١٤) وفي رسالتهِ التي يعتبرها العلماء كتوطئة لانجيلهِ انهُ يبشر بما عاين قال: الذي كان من البدء الذي سمعناه الذي رأيناه بعيوننا الذي تأملناه ولمستهُ ايدينا من جهة كلمة الحياة لان الحياة قد ظهرت ورأيناها ونشهد ونبشركم بالحياة الابديَّة التي كانت عند الاب فظهرت لنا. الذي رأيناه وسمعناه به نبشركم لتكون لكم ايضاً شركة معنا وشركتنا انما هي مع الاب ومع ابنهِ يسوع المسيح (١ يوحنا ١ : ١ — ٤) وقال في انجيلهِ (١٩ : ٣٥): والذي عاين شهد وشهادتهُ حقّ وهو يعلم انهُ يقول الحقَّ لتؤمنوا انتم. وخُتم السفر بهذه الآية: وهذا التلميذ هو الشاهد لهذه الامور وهو الكاتب لها وقد علمنا أن شهادتهُ حقٌّ. فكأن جمهور النصارى المعاصرين يسجلون بهذه الفقرة الاخيرة كلام البشير المحبوب من سيده ويشهدون لهُ بالامانة والصدق

فاي قاضٍ عادل ينكر على هؤلاء الشهود الاربعة معرفتهم لما يشهدون فقد رأوا وسمعوا وشهدوا وكتبوا ما كتبوا وكان منات من الذين عرفوا المخلص وسمعوه ورأوا معجزاته وتأكدوا قيامته لا يزالون احياء. فلم ينكر احد حقيقة النقل ولم يُعزُ اليهم الخداع والكذب

ولعلَّ معترضاً يعترض علينا قائلاً ان الانجيليين وصفوا امورًا لم يروها بعيونهم كالبشارة بالمخلص وميلادهِ وعيشتهِ الخفيَّة وتجربتهِ في البرية الخ

نجيب ليس الاعتراض بحديث فقد سبق القديس اغسطينوس فنقدهُ في كتابهِ عن اتفاق الاناجيل (De Consensu Evangel. I. 1.) فاجاب انهم كان يمكنهم معرفة هذه الامور إمَّا من المخلص بالذات (اعمال ١ : ٣ واطلب مقالتنا في تجربة المسيح في المشرق ١٤ : ٢٠٥) او من العذراء (لوقا ٢ : ١٩ و٥١) او من غيرهم كيعقوب نسيب المخلص الخ

وقد لا يكتفي الخصم بجوابنا فيقول: لكن هناك اخباراً نقلها الانجيلي لوقا مثلاً ولم يستطع ادراكها بتدقيق كما ادّعى (١: ٢) لانها مما لا يتأكد الّا بشهادة صاحبها يريدون بذلك حبل مريم بيسوع بنوع يفوق قوى الطبيعة

نجيب اوّلاً: ان الغاية التي نتحراها في مباحثنا هذه العلميّة المحضة بمعزل عن الوحي في حقيقة التاريخ الانجيلي وصدق كتبته هو تبيان اساس الدين المسيحي والدين المسيحي مؤسس على بشارة المخلص وتعليمه وعجائبه وقيامته وتسميه للنبوات واقامته للكنيسة وهذا لا علاقة له ضرورية بسرّ الحبل البتولي

ثانياً: اذا اثبتنا — وسنثبت — حقيقة هذا الدين القويم نعود فنؤكد وحي الاسفار الانجيلية انها كلام الله بريئة من كل غش وضلال في كل محتوياتها. وهذا ما يتطلبهُ منّا سياق البراهين فترتبط حلقات سلسلتها ارتباطاً منطقياً بلا انفصام. فرجاؤنا من القارئ اللبيب ان لا يطالبنا بحلّ كل المشاكل دفعةً واحدةً وان لا يخلط بين الامور الاولية في بحثنا هذا والامور الثانوية

ثالثاً: اجل لم يُعرف سرّ الحبل البتولي الّا ببشارة مريم البتول. لكن الشرائع والنواميس ترضى بالشاهد الوحيد اذا كان اسمى من ان يُعزى اليه الكذب لعلو مقامه وكمال صفاته وهو ما سماه الشرع الروماني الشاهد الاعلى من ان يُطعن فيه (omni exceptione major) والعذراء مريم لهي هذا الشاهد كما يقرّ لها الجميع بذلك. وهاك شرحاً بسيطاً لا مردّ عليه: هذه التي شهدت لبتوليتها هي التي انشدت يوماً نشيدها وهي يومئذ صبية فقيرة جاءت تزور نسيبتها اليصابات قالت: «تبتهج روحي بالله مخلصي لانهُ نظر الى تواضع امتهِ فها منذ الآن تطوّبني جميع الاجيال لان القدير صنع بي عظائم (لوقا ١: ٤٧) وقد صدقت في نبوتها فطوبتها الاجيال وكرمتها الشعوب واحنت لها الملوك الرؤوس واحبتها النفوس حبًّا صادقاً قلبيًا ولا يزال منذ تسعة عشر قرناً يزداد هذا الاجلال وهذا الحب بينما الفراعنة والقياصرة وملوك بابل والفرس الذين دوّخوا البلاد وفتحوا الفتوحات والّهوا ذواتهم وعبدتهم شعوبهم فاقامت لهم الهياكل في حياتهم قد باد ذكرهم وانمحى اثرهم ولا نكاد نرى مما عمّروا وبنوا من المعابد والقصور الّا خرائب ينعق فيها البوم ويقلّب حجارتها الاثريون في ايامنا عساهم يقرأون عليها اسم بانيها

٣ ان الانجيليين لاسى من ان يوسموا بسمة المتداع

لا ينظر القاضي العادل الى كلّ ما يُعرض عليهِ من الشهادات بعين الاعتبار لكنهُ يزن قيمتها الادبيَّة بميزان ضميره ووجدانهِ فربَّ شاهدين يقومان مقام جمهور من الشهود لصفاتهما وطباعهما المتازة. فما هي صفات الرسل عموماً والانجيليين خصوصاً لانهم جميعاً يشهدون لتعليم المخلص وعجائبه

للخُدَعَة الراغب في تمويه خزعبلاتهِ سمات وعلامات تظهر للعيان بالرغم عنهُ لان الطبعَ يغلبُ التطبُّع. فاذا نقَّرت في سيرة الماكر وجدت حياتهُ اليفة الرياء الذي عليهِ ربي وفي زواياه اختبأ يتصنع في الظواهر ويعبث في السرّ بالفضائل يطمح الى المراتب واللذات ولا يسعى الَّا في طلب مصلحتهِ واذا سمعت اقوالهُ او قرأت كتاباته رأيت التصنع والغش والمداجاة مرتدية بثوب يكاد يغطيها على السذَّج لكن لا تخفى على العالم الناقد. وحاشا الرسل ان يوسموا بهذه العلامات ولا بشيء منها. قوم بسطاء فقراء ولدوا وعاشوا في بلاد وقرى الجليل وفلسطين بعيداً عن حيل المخادعين ومداهنة المرائين ولم يعرفوا من الدنيا الَّا العيشة الساذجة الشاقَّة. تركوا شباكهم وبيوتهم وتبعوا المخلص وسمعوا كلامهُ فلم يفقهوه اوَّلاً حتى اضطروا معلمهم مراراً ان يشرح لهم من الامثال اسهلها. قوم ذوو دين صادق وتقوى وزهد قرضوا الدنيا قرضاً على منهاج مخلصهم خلا يوداس الذي قادهُ حبّ المال الى الخيانة. قال بولس: انتم تعلمون اني لم اشتهِ من احد لا فضة ولا ذهباً (اعمال ٢٠: ٣٣) وقال: نُشتَم فنُبارك نُضطهَد فنحتمل (١ كور ٤: ١٢) وقال: لم آتِ ببراعة الكلام او الحكمة لكن بشهادة الله (١ كور ٢: ١) وقال: اما نحن فنكرز بالمسيح مصلوباً شكاً لليهود وجهالة للامم (١ كور ١: ٢٣)

اقرأ اسفارهم تجد بينات الصدق والامانة بادية في كل فقرة وفي كل سطر منها. يخبرون بما شمعوا ورأوا كما يخبر الشاهد الامين الذي اقسم انهُ لا يزيد ولا ينقص حرفاً من الحقيقة. فلا تبدو منهم عاطفة اعجاب او احتقار غايتها تحريك العواطف في صدر القارئ فهم كالمرآة تعكس عليك الصورة المطبوعة على صفيحتها كما هي. ولا ترى في انشائهم شيئاً مما يقبل عليهِ البيانيون من المجاز والتشبيه والاستعارات المثيرة

للاميال فهم يكررون في كل صفحة. قال يسوع واجاب يسوع: وخرج فرأى اعمى فشفاه... وما شاكل ذلك

دونك وصفهم لمخدومهم وسيدهم وربّهم يذكرون العجائب التي صنعها والتعاليم التي نشرها. ولا ترى في كلامهم ما يستدلّ بهِ عن هيام في نفوسهم او تهلل او هيجان لكن السكينة والبساطة علامتي صدق السريرة. وهم لا يستحون من ذكر مولده الفقير في مغارة بيت لحم وحقارة معيشتهِ مدة ثلاثين سنة كابن نجّار خاملاً مجهولاً وبما لحق بهِ من الاهانات في حياتهِ وايامهِ الاخيرة

لاحظ نعتهم لصفاتهم الشخصيّة فلا يذكرون شيئاً تستشفُّ من ورائهِ رغبتهم في المجد وحسن السمعة لكنهم يعترفون بخمول اصلهم وحقارة منشأهم ومهنتهم ويقرّون بخشونة طباعهم وبرغائبهم الزمنيّة وقساوة قلوبهم وسوء تدبيرهم وضعف ايمانهم وجبانتهم وتوبيخ المسيح لهم. فهذا متّى ينبئنا عن لاوي العشار — وهو هو — ان المسيح تعطف واختاره رغماً عن مقت اليهود واحتقارهم للعشارين. وهذا مرقس يفصل قصة نكران بطرس لربّهِ. وقد سمعها مراراً من فم هامة الرسل التائب. وهذا لوقا يخبرنا في سفر الاعمال عن تعصب بولس الاعمى وسفكهِ للدماء الزكيّة الى ان تحنّن الله فظهر لهُ راحماً فانارهُ وردهُ. وهذا يوحنا لا يكاد يذكر اسمهُ في كل صفحات الانجيل فاذا الجأتهُ الضرورة التاريخيّة لمح اليهِ تلميحاً لطيفاً

فاين الخداع في صفاتهم وانشائهم واعمالهم وتواضعهم واقرارهم بنقائصهم وسيئاتهم. لا لعمري ليست هذه الّا بينات صادقات على سلامة طويتهم وصدق سريرتهم وامانة شهادتهم. وقد اقرّ لهم بذلك الملحدون في القرون الماضية وفي عصرنا. قال الجاحد الشهير جان جاك روسو: « ان قداسة الانجيل تناجي قلبي ولها فيهِ وقع شديد. تصفّح كتب الفلاسفة وما فيها من الفخامة والبداعة فاين هي من الانجيل. فهل يتأتى لبشر ان يجيء بكتاب مثلهُ... أنقول ان التاريخ الانجيلي هو اختلاق واختراع. ثق بكلامي يا صاح لا يكون هكذا الاختراع... فالانجيل مزدان بعلامات من الصدق ظاهرة قوية لا مثيل لها حتى ان مخترعها يكون اعجب من صاحب السيرة الموصوف فيها ». وقال رنان: ان الاناجيل لهي آثار تستحق الاعتبار » وقال جوليخر (Jülicher) « انها ذات قيمة غالية لمعرفة تاريخ يسوع ». وزاد

هرناك (Harnack) « انها محتوية على التقليد الاصلي ». ولو لم يخبر الانجيليون بعجائب لا يرضى الملحدون بها لجلوها في مقدمة كلّ من ادّعى أنهُ مؤرخ وشاهد

وقد يعترض علينا قوم بالفاظنا واقرارنا فيقولون: اذا كان الرسل سذّاجاً أميين فانّى لهم ان ينقلوا لنا اسمى التعاليم التي سمعها بشر وقد اقرّ القاصي والداني انها تفوق ادراك اسمى العقول ولا ينكر حكيم ولا فيلسوف انهُ لم يتكلم قطّ احدٌ مثل يسوع المسيح. فكيف يفقهها صيّادو سمك

نجيب اولًا مع المخلص حيث قال (متى ١١ : ٢٥) : « اعترفُ لك يا ابتِ ربّ السمارات والارض لانك اخفيت هذه عن العقلاء والحكماء وكشفتها للاطفال نعم يا ابتِ لانهُ هكذا حسُن لديك ». فمثلًا يحاول الحكماء والعقلاء او قل بالاحرى مدّعوا الحكمة والعقل احتكارهما في ذواتهما وحرمان سائر البشر منهما فربَّ انسان سليم النيّة والطوية يفقه بلحظة ما لا ينالهُ العالم بالانعكاف على المؤلفات سنين طوالًا

نجيب ثانياً: لم ينهج المسيح في تعليمهِ منهج الفلسفيين في مواضيعهم وقضاياهم ومقدماتهم ونتائجهم لكنهُ تعلم بسلطان وكمن هو الحق بالذات فلا يباحث ولا يجادل لكن يؤكد ويطلب الايمان بكلامهِ. قال: طوبى للمساكين. طوبى للحزانى. طوباكم اذا عيروكم الخ. ولم يجادل في سبب هذا التطويب. امّا كلامهُ فكان من البساطة على جانب عظيم يفهمه الصغير والأمي ولا يدرك غور كنههِ الكبير والعالم وكان المسيح يلقيهِ بالامثال والتشابيه القريبة من العقول وبالحكم الموجزة يكرّرها مرارًا بلفظها الواحد او بما هو بمعناه ليطبعها في العقول والقلوب. لم يذكر الانجيل التطويبات مثلًا الّا في عظة المخلص على الجبل. لكني اعتبر ولا اغالي مخطئاً ان المخلص قالها او قال ما يضاهيها معنًى ولفظاً لا مرة لكن مرارًا فطبعت في الذاكرة فحفظتها

وقد يتابع المعترض كلامهُ فيقول: هب انهم استطاعوا نقل تعليم المسيح ولكن كيف يستطيعون التمييز بين ما هو اعجوبة فائقة الطبيعة وبين الامور الطبيعيّة وهم لم يدرسوا العلوم الطبيعيّة

نجيب: لذا تراهم يصفون ما شاهدوا ورأوا تاركين الحكم للقارئ عالمًا كان ام

لا . راقبوا يسوع الى بركة بيت حسدا فرأوا مخأماً ملقى هناك فقال لهُ يسوع : قم احمل سريرك وامشِ . فللوقت برئ على مشهد منهم ومن الجميع (يوحنا ٥) . ذهبوا مع المسيح في السفينة على بحيرة طبرية فعصفت ريح وساورتهم المياه واضحوا في خطر الغرق فقام المسيح وانتهر الريح وهيجان الماء فسكنا وحدث هدوء (لوقا ٨ : ٢٣ الخ) . كانوا في البرية وخمسة الاف يتبعونهم وليس لهم ما يأكلون سوى خمسة ارغفة فباركها الرب وأعطى لتلاميذهِ ليقدموا للحاضرين فكانوا يفرّقون ولا ينفد الزاد حتى اكل الجميع وبقي من الكسر اثنتا عشرة قفة (مرقس ٦ : ٣٥ الخ)

كان منطلقاً الى نائين برفقة التلاميذ وجمع كثير فاذا ميتٌ محمولٌ وهو ابن وحيد لامهِ فتحنن عليها وامر حاملي النعش ان يقفوا ثم قال : ايها الشاب لك اقول قم . فاستوى الميت وبدأ يتكلم وسلّمهُ الى امهِ (لوقا ٧ : ١١) . مات لعازر ودُفن وبعد اربعة ايام لدفنهِ جاء يسوع فصرخ : يا لعازر هلمَّ خارجاً . فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطة بلفائف ووجههُ ملفوف بمنديل فرآه الجميع حيًّا (يوحنا ١١)

وقس عليهِ سائر اخبار الانجيل . فالحاجة للعلوم الطبيعيَّة والمنطقيَّة في الشهادة بما يراه الانسان بعينهِ ويسمعهُ باذنهِ ويلمسهُ بيده لا واحد لكن اثنا عشر رسولاً بل جمهور من الشعب لا في السرّ لكن في العلانية في وانعة النهار (لها بقية)

السر المصون
في
شيعة الفرمسون

درس تاريخي اثري للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

ثالثاً الماسونية التركية

قد مرَّ بك ان تركيا كانت بين اوَّل الدول التي ناهضت الماسونيَّة منذ السنة ١٧٤٨ وانَّ بين قوانينها ما يحظر على العثمانيين الجمعيَّات السريَّة . فكان السلاطين العظام ينظرون بعين النفور الى كل ما يتستَّر تحت حجاب الظلمة واذا بلغهم شيء من

امر تلك المجامع اسرعوا الى الغائها وتشتيت شمل اصحابها. وعليه لا بُدَّ من اصلاح ما كتبهُ فيها في تاريخ (كذا) الماسونيَّة العام (ص ٢٠٦) جرجي افندي زيدان حيث قال سنة ١٨٨٩:

اما شأن الماسونية عمومًا في تركيا فشأنها في سائر البلاد. هذا من قبل العامَّة واعتقاداتهم (والعامَّة كثيرًا ما يحكمون بالصواب). اما من قبل الدولة فلم تصادف مقاومة رسميَّة مطلقًا (!) وان تكن من الجهة الثانية لم تصادف تنشيطًا كبيرًا على انَّ مولانا امير المؤمنين (يريد السلطان عبد الحميد) كان في ريبةٍ من امرها (ولم تخدعهُ ريبتهُ) لكنَّهُ علم مؤخَّرًا صحَّة مبادئها واخلاصها للملك (ولذلك تفتخر اليوم بانها هي التي قلبت سلطتهُ) ولسائر الامَّة والوطن (واخلاص الماسونية لهما كاخلاصها لعبد الحميد) وقد تشرَّفت برضائهِ (وبتفويض عرشهِ!)

ثم قال المؤرخ المذكور انَّ الماسونية الرمزيَّة ظهرت في تركيا سنة ١٧٣٨ في كورفو الَّا انَّ آثار هذا المحفل قد طُمست مدَّة مئة سنة حتى تأسس في تلك الجزيرة سنة ١٨٣٧ محفل آخر عُرف باسم محفل فيثاغورس كان كالاوَّل تحت رعاية المحفل الانكليزي الاعظم. ثم تأسست محافل اخرى في الاستانة وفي ازمير وغيرهما بعضها تابع للشرق الاعظم الانكليزي وبعضها للفرنسوي او للايطالي الى ان انشأ الاخ ... الكلي الاحترام البرنس حليم باشا مجمعًا وطنيًا ترأسهُ وتعدَّدت محافلهُ

على انَّ هذه المحافل بقيت تشتغل في الظلمة كألوف عادة البنائين الاحرار حتى صار الانقلاب العثماني الاخير قبل ثلاث سنوات فاخذت تتباهى وتنسب اليها الحكم الدستوري

ويا ليتها اظهرت وقتئذٍ تراهتها وحسن طويَّتها فتركت لمندوبي الولايات السَّير على مقتضى المبادي الدستوريَّة في مجلسي المبعوثان والاعيان الَّا انَّ الماسونية لم ترضَ بالانسحاب فاستندت الى جمعية الاتحاد والترقي واعتضدت بالجيش وجعلت تلقن مندوبيها في مجلس المبعوثان مآربها لينفذوها على حسب مبتغاها. فجرى ما جرى بسبب هذا الاستبداد ولم يزل الامر يتفاقم والشرّ يستفحل حتى سئم العقلاء هذه الاحوال

ولعلَّ سائلًا يسألنا أجمعية الاتحاد والترقي ماسونية؟ الجواب عن ذلك انَّ هذه الجمعية في اوَّل امرها كانت تتركب من ضباط ورجال حزم سئموا من حالة الدولة وتلاعُب اهل الظلم بالرعايا ولعلَّ الماسونية سعت في جمع كلمتهم وهم لا يدرون من

امرهـا غير بعض اصحابها للاستبداد وتقررهم من الظلم لا سيما انّ هؤلاء الضباط كانوا في حاجة الى المال والدراهم لتنفيذ ما قصدوهُ من قلب الهيئة المالكة فكان الماسون وكثير منهم من اليهود الثرين يمدونهم بامدادهم بالاموال

فلما تمّ الانقلاب الدستوري رفعت الماسونيـة رأسها وعزت الفوز الى مساعيها وصوّرت جمعية الاتحاد والترقي كجمعية ماسونية محضة . وكان اعضاؤهـا اذا ساروا الى عواصم اوربا يبحثون عن المحافل الماسونيـة ويسلّمون على رؤسائها كما فعلوا خصوصاً في باريس وفي بوادبست حاضرة المجر حيث صار لهم استقبال عظيم ورحّب بهم الماسون ودعوهم الى حفلاتهم كما انبأت الجرائد الاوربية

على انّ هذه المظاهرات فتحت اعين العقلاء فاحسّوا بما اوقعتهم فيـه العشيرة الماسونية من التهلكة وبالخصوص لما راوا ان بعض زعماء جمعية الاتحاد والترقي يريدون الضغط على منبوذي الأمّة في مجلس المبعوثان لينقادوا الى اوامرهم التي يتفقون عليها في محافلهم السرّية كانّ الدستور آلة في ايديهم يتصرفون بمشيئته كما يشاؤون

وممن لم يرضوا بهذا العمل الامير آلاي صادق بك فقـام في وجه الماسون وانشأ حزباً لمعارضة اولئك المفسدين . وكان في مقدّمة الذين طلبوا لمؤتمرهم السنوي مندوباً من الحكومة لئلا تنظم جماعتهم في سلك الجمعيات السرّية

وممن تبعوا حركات الماسونية وعرّفوا احوالها في تركيا خصوصاً منذ الانقلاب العثماني السيد محمد رشيد رضا في المنار فكتب هناك عدّة فصول نقلنا سابقاً بعض شواهدها (راجع الصفحة ٣٨٣) ثمّ عاد في عدد ربيع الاوّل من السنة الحالية ١٣٢٩ (ص ١٧٩) فوصف الماسونية وصفاً حسياً وصرّح (ص ١٨٠) بانّ « لهذه الجمعية الاثر العظيم في الانقـلابات السياسية التي حصلت في اوربة ومنها الثورة الفرنسوية الكبرى من قبل والانقلاب العثماني والبرتغالي الاخيرين من بعد » وان « علاقة عملهـا بالدين والسياسة معروفة من مقصدها الذي انشئت لاجله (اي ازالـة سلطة رؤساء الدين والدنيا) فاذا لم تشتغل بالمقصد مباشرةً فهي تشتغل بالتمهيد لهُ كجمع كلمة اهل التفرنج في كل بلد وتكثير سوادهم وتقوية عصبيتهم واضعاف رابطتهم الدينية السياسية والانتقال بهم من الاقناع من درجة الى درجة حتى يتم الاستعداد بهم الى تغيير شكل الحكومة وازالة السلطة الدينية والشخصية السذي هو المقصد الاخير ولو بالثورة وقوّة

UNIVERSI TERRARUM ORBIS ARCH

LIBERTÉ

RITE ÉCOSSAIS
ANCIEN ACCEPTÉ

. LE CONSE. FÉDÉRAL

La Grande L e de France

certifie que le T.·. C.·. F.·.
dont la signature est apposée ci-contre, a
Franc-Maçonnerie dans une □ juste et par
aux dates indiquées d'autre part.

En conséquence tous les Maçons réguliers
sont priés de vouloir bien accueillir le titulaire
que se doivent mutuellement les enfants de

Donné à l'O.·. de Paris.

Le Grand Secrétaire Général,

Federatum summæ gallicæ bellæ concilium testatur Fratrem, cujus nomen hic inscriptum est, quique his præsentibus litteris nomen suum subscripsit architectonicæ societatis mysteriis initiatum esse in justâ perfectâque □, iis temporibus quorum alibi mentio facta est.

Inde sequitur ut omnes Frat.·. M.·. ne unoquidem excepto, amicissimè pulsentur Frat.·. qui illo Magistri diplomate ornatur, benè accipere, et ergà eum eâdem benevolentiâ uti quæ inter sese Viduæ liberos uti decet.

FRATI

RNITÉ

The Federal Council of the Grand Loge of France certifies that the undersigned was regularly initiated in a just, perfect and regular Lodge of Freemasons, and raised to the sublime degree of a Master Mason, on the dates stated hereon, and that he is duly registered in the books of this Grand Lodge accordingly.

This certificate shall not entitle any brother to admission to any Lodge without examination.

Signature du Titulaire.

régulièrement initié aux mystères de la
ni lui a conféré les trois degrés symboliques

ere, sans distinction de rite ou d'obédience,
esent diplôme de Maître avec tous les égards

Le Grand Maître.

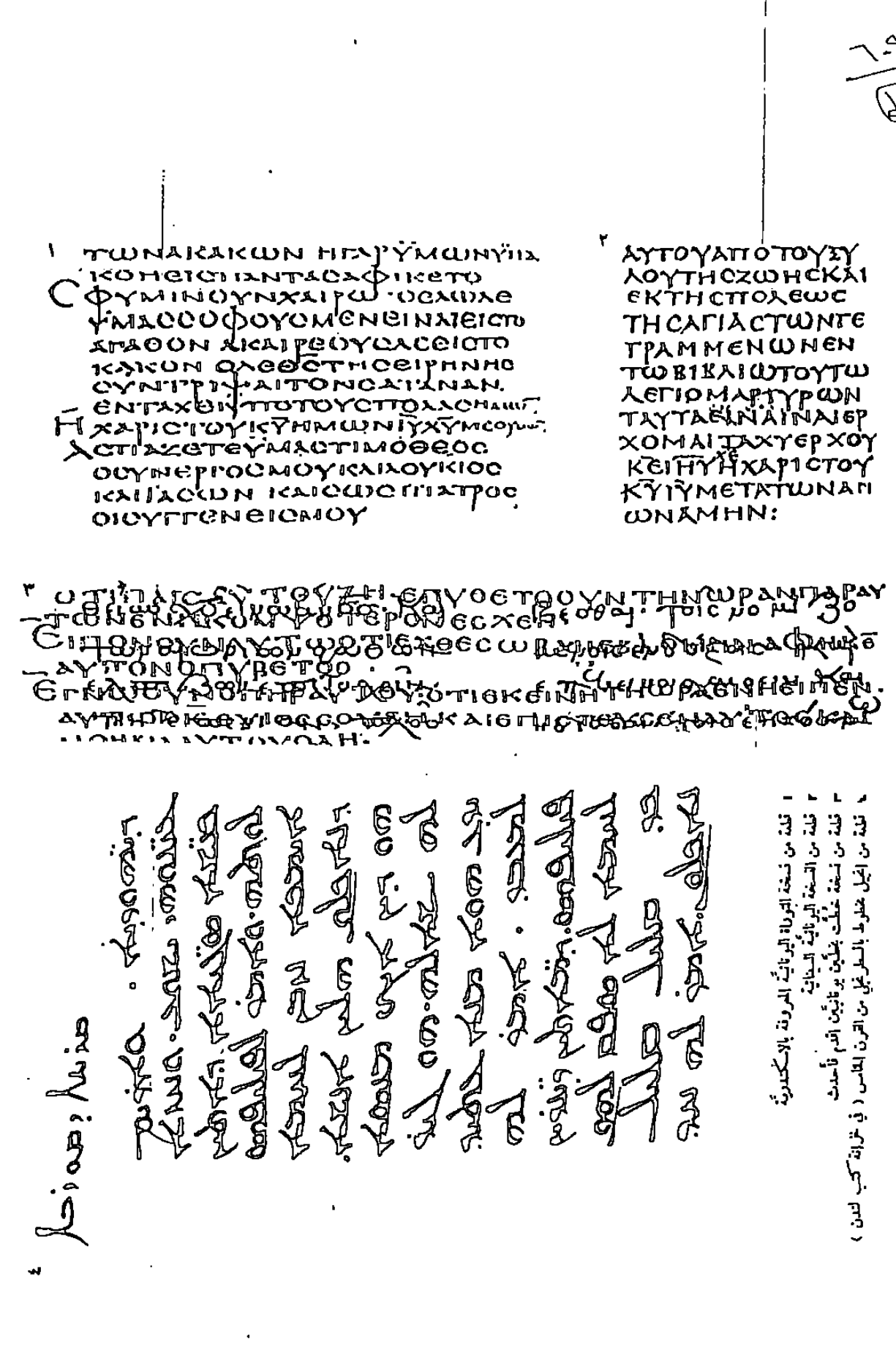

١ قلة من نسخة البردية البرنابية المدونة بالإسكندرية
٢ قلة من النسخة البرنابية السيناوية
٣ قلة من نسخة غلف بلكن برنابين أدم فأسدث
٤ قلة من إنجيل متوط بالطرطوشي من القرن الخامس (في خزانة كتب لندن)

السلاح » الى ان قال « ولاجل هذا ترى رجال الدين كالجزويت يحاربون هذه الجمعية واما رجال الدين الاسلامي من الفقهاء والمتصوفة فقلما يعرفون شيئاً من امور الدنيا (كذا) »

وقد خصّ الكاتب الفاضل نظره بالماسونية التركية في العدد التالي اي ربيع الاخر ١٣٢٩ (ص ٢٦٥ — ٢٧٢) عند كلامه عن امير الآلاي صادق بك وجمعية الاتحاد والترقي وما حصل فيها من الانقسام فقال (ص ٢٦٥) :

اشتهر ان الانقلاب الشاني كان بتدبير جمعية الاتحاد والترقي في سلانيك ومناستر وعرف الخاص والعام انّ الانقلاب كان من عمل الجيش. هذا علا مقام كل ضابط عثماني ورُفع اسم نيازي وانور بك على كل اسم ولكن خفي اسم صادق بك وهو اجدر بالظهور وصار كل من يُنسب الى جمعية الاتحاد والترقي يفخر ويسمو بانهُ ربُّ الدستور وحاميهِ فتزاحم على ابوابها طلّاب الشهرة ورؤّاد المنفعة وعبّاد القوّة وانتضّ من حولها الكثيرون من الماسونيين المخلصين وانبرى لمعارضة حزبها في مجلس الأمة حزبان كان خيار رجالها من الاتحاديين ومن بقي في حزبها ازواج ثلاثة : ١ً بعض الزعماء كالبكوات وحي وطلعت وجاويد ومن استعذب مشربهم وأذعن للسرّيّ والجهريّ من احكام جمعيتهم لانهُ يرى فيها رأيهم وهم الاقلّون — و٢ً طلّاب المنافع واتباع كل ناعق — و٣ً المستقلّون المخلصون الذين يرون انّ بقاءهم في الجمعية خير من خروجهم منها وارجى لتقويم عوجها

ثم انتقل الكاتب الى وصف فضل صادق بك في تغليب الدستور وكيف بقي اسمهُ منسيًّا كالدرّ الراسب في اعماق البحر مع كونهِ هو حقيقة « قومندان الانقلاب العثماني وموجد الدستور » (ص ٢٦٦) ثمّ بيّن جناب السيد ثباتَ صادق بك في خدمة الجمعية وهو رئيسها وعميدها يسوسهُ المرخص العام الى ان تألف مجلس الأمة « فرأى صادق بك ان تترك الجمعيةُ للحكومة الحرّية في عملها وتكتفي بالمراقبة عليها فلا تتعرّض لشيء الّا اذا رأت الدستور مهدّدًا بالزوال » ولذلك عوّل على تقدمة استقالته لانهُ كان يرى اشتغال الضباط بالسياسة من اعظم الاخطار التي تهدّد الدولة « لكنّ زعماء الجمعية لم يوافقوهُ على ذلك » وظهر من رئاستهم تغير جميع العناصر العثمانية من اخوانهم الترك وتقدُّم اليهود في نظارة المالية على غيرهم واعلاء كلمة الماسونية والاسراف في نشرها وتقديم القدّمين فيها على غيرهم في جميع المناصب والاعمال وجعل مقام الخلافة كالمجرّد من كل سلطة ونفوذ »

فلمّا رأى صادق ان اولئك الزعماء لا يجيبونهُ على مطالبهِ « آذنهم بانهُ يترك لهم

جميعهم ويسترد استقالته من الجيش وكذلك فعل وكان هذا من آيات اخلاصه الكثيرة » (ص ٢٦٨) . الا « ان الخطوب تفاقمت بعد ذلك من سياسة طلعت وجاويد حتى ضجّ مجلس الامة بالشكوى وبلغت اصوات المعارضين عنان السماء بعد ان ازعجت سكان الارض حتى اضطرّ طلعت بك الى الاستقالة من نظارة الداخلية فصوّبت سهام المعارضة بعدهُ الى جاويد بك خاصة والى رجال الوزارة عامة والى جاهد بك صاحب جريدة طنين الذي هو للحامي عن جمعية الاتحاد والترقي بقلمهِ المسموم الذي سمّاهُ بعض ادباء الاستانة من الترك سفيه القوم » (ص ٢٦٨) :

ثمّ اردف جناب السيد انهُ كان وقتئذٍ مقيماً في الاستانة فوقف على غوامض سياسة الجمعية ومخبّآت صناديق اسرارها فاستفاد من القوم الجزم بعدّة مسائل ذكر منها ما يأتي قال (ص ٢٦٩) :

١ ان مولانا السلطان متجرّم من القوم وغير راضٍ من الحال العامة وينتظر ان تتغيرها الحوادث الى احسن مما هي عليهِ ولا ازيد على هذا في هذه المسألة

٢ ان بعض زعماء جمعية الاتحاد والترقي يريدون ان تبقى الدولة في ايديهم يديرونها كما يقرّرون فيما بينهم بزمامي حزبهم في مجلس الامّة ورجالهم في وزارات الباب العالي وسائر المصالح يؤيدهم في ذلك طائفة من ضبّاط الجيش

٣ يجب على كل وزير او رئيس عمل منهم ان ينفذ كلّ ما تقرّرهُ اللجنة العليا للجمعية في الحكومة

٤ يديرون نظام حزبهم في المجلس بطريقة تجعلهُ آلة في ايدي من فيهِ من زعماء الجمعية كطلعت بك ورحمي بك وجاويد بك وخليل بك ومن يليهم في النفوذ كجاهد بك واسماعيل حقي بك . فاذا اتفق هؤلاء مع لجنة سلانيك على امر جمعوا حزبهم للمذاكرة فيهِ وهو متّفق عليهِ بين الزعماء ومن يقنعون بهِ قبل الاجتماع بمن يسهل اقناعهم . ومن نظام حزبهم انهُ اذا اقرّ الثلثان من حاضري الجلسة فيهِ امرًا وجب على الباقين اتباعهم بغير مناقشة . . .

٥ ان هؤلاء الزعماء كلهم من شيعة الماسون يجتهدون في نشرها وجعل رجال الحكومة من اعضائها كما ينشرونها في ضبّاط الجيش وقد يكون هذا تمهيدًا للفصل بين السياسة والدين وتجريد السلطان من صفة الخلافة الاسلامية

٦ ان من لوازم تشيعهم للماسونية قوة نفوذ اليهود فيهم وفي الدولة وذلك يفضي الى فوز الجمعية الصهيونية في استعمار بلاد فلسطين الذي يراد بهِ اعادة ملك اسرائيل الى وطنهم الاول والى ابتلاع اصحاب الملايين من اليهود لكثير من خيرات البلاد

٧ من اهمّ مقاصد هؤلاء الزعماء جعل السيادة والسلطة في المملكة الشانية للشعب التركي والتوسل بقوة الدولة الى إضعاف اللغة العربية وإماتتها في المملكة وتتريك العرب مع ابقائهم

ضعفاء بالجهل والضغط وذبذبة اللسان ومنع الالبانيين والاكراد من تدوين لغتهم وجعلها لغة علمية. وهذا من المقاصد السرّية التي لا يعترفون بها على استعجالهم بتنفيذه بالعمل وبكتابة جريدة طنين

ومن آثار هذه السياسة تلك الحرب الطحون في اليمن والبلاد الالبانية وقد كان من اسهل الامور تنفيذ الاصلاح المعقول في هذين القطرين في ظل السلام والامان

ثمّ عاد السيد محمد رشيد رضا الى ذكر صادق بك وفصّل ما عمله لاستدراك الامر وملافاة الخطر فقال:

كان صادق بك كل هذه المدة بالمرصاد يراقب الحوادث من بُعد لا يحرّك فيها قلماً ولا لساناً. ولا يجرد لها سيفاً ولا يشرع سناناً. حتى اذا ما رأى قوة المعارضين للاتحاديين ووزارتهم من احزاب المجلس قد عظمت ورأى ان اهل الاستقلال والانصاف من حزب الاتحاد تسوءهم من الحكومة ومن تأييد اولئك الزعماء لها ومن سياستهم الماسونية ولوازمها — حتى اذا ما رأى ذلك خانهُ الصبر وعزّ عليهِ ان يدع الدستور الذي اخذهُ بقوة يمينه والجمعية التي شرّفها بعملهِ واخلاصهِ آلةً في يد هؤلاء الرهط الذين لم يحسنوا التصرف ولم يقيسوا الميزان. فمدّ يده الى المستقلين المنصفين من حزب الاتحاد وبذل لهم مظاهرته فيما يقيسون به موج اولئك الافراد ويحول بينهم وبين الاستبداد ويصلحون ما حدث في الامة والدولة من الفساد. فاشتدت عزائمهم وصاحوا في وجوه اولئك الزعماء تلك الصيحة المزعجة. واقترحوا عليهم تلك الاقتراحات المنصفة. فارتفعت اصوات التأييد والتفنيد. فكانت اصوات طلّاب الاصلاح اجهر وعددهم اكثر. فاظهر الزعماء الرضا واجمين. ولبّت اعناقهم خاضعين. ثم ولّوا الى انصارهم مدبرين. ورجعوا الى ضباطهم مستنصرين. فاذا ليث الغاب. قد انكشف عنهُ الحجاب. فنزع حتى باشا الى ولائه السلطان وقال انهُ لا يكون في العاصمة صدران. فاما قبول استقالتي. وإما دفع صادق بك بالتي هي احسن واخراجه من المدينة. ريثما ترد اليها السكينة. فأوحى الى محمود شوكت باشا ان يزيح صادقاً ففعل. . .

وعقّب ذلك جناب الكاتب بذكر المطالب التي قرّرها المصلحون واعلنوها وآخرُها « ان تقاوم مقاصد الجمعيات المؤسسة على السرّ » فكان لهذه المطالب لا سيما الاخير اعني مقاومة الجمعيات الماسونية وقع كبير في النفوس وانكشف الحجاب في اعين كثيرين عن فساد الماسونية فكانت نتيجته تلك الاوامر التي تقاطرت البرق الى الولايات بان تُقفل المحافل الماسونية في البلاد العثمانية وتُنقض جمعياتها السرّية (١

(١) وقد قرأنا في العدد العاشر من السنة الاولى لمجلّة الصباح التي تُطبع في طنجه (ص ٥) صورة اليمين التي تتحتّم على كل من يدخل في جمعيّة الاتحاد والترقي ليتأتّى لهُ الاطّلاع على اسرار

ثمَّ ما لبث صادق بك ان نشر تصريحاته ردًّا على الذين وصفوهُ بالرجعي . ومما قالهُ هناك في معرض للجند ان يشتركوا في سلك الماسونيَّة (المنار ص ٣٧٧) ما نصُّهُ :

حبُّ الوطن والغيرة القومية هما مصدر شجاعة الجيش المرابط على الحدود للدفاع عن البلاد والمقيم في البلاد للمحافظة على الدستور ومن هذه الوجهة لا يجوز ابدًا ان يكون للجيش العثماني صلة باللجان الماسونية او غيرها . قد تكون الماسونية نافعة للانسانية (وقد اثبتنا انها لا تنفعها البتَّة بل تضرُّها) ولكن ذلك لا يمنع وجوب بقائها في دائرتها الخاصَّة . وليست مقاومتي للماسونية اكثر من الاجتهاد في منعها من الانتشار في صفوف الجند وانا احترم كل عامل من العوامل النافعة للانسانية ولكن يجب ان لا يكون لهذه العوامل علاقة بالسياسة : وقد علَّمتنا التجارب انَّ اجمل عامل الانسانية عنوانًا كانت تجيء نتائجُ اعمالها سكوسة متى لبست بها اصبح السياسة . . . »

وقد الحق صاحب المنار هذه التصريحات ببعض الملحوظات استخلص فيها فكر صادق بك فقال من جملتها (ص ٣٧٩) : « يجب ان لا يكون للماسونية عمل في سياسة الدولة العمومية وان لا يدخل فيها ضبَّاط الجيش ولا تُنشر فيه » الى ان قال :

« وروح المقال (اي مقال صادق بك) انَّ بعض الافراد جعلوا انفسهم زعماء لجمعية الاتحاد والترقي واحتكروا لانفسهم حماية الدستور وتنفيذه زاعمين انهم هم الذين احدثوا الانقلاب وجعلوا الجمعية عصبيَّةً لبعض الامَّة على سائرها وزجوها بالماسونية وبنوها على قواعدها وانَّ بعض ضبَّاط الجيش يؤيِّدونهم وينصرونهم في سياستهم وانَّ في هذا خطرًا على السلطة »

وهذا الخطر العظيم الذي احسَّ بهِ صادق بك لم يزل يتفاقم امرهُ ويستفحل شرُّهُ حتى حصلت تلك الازمة العثمانية التي كادت تفرض بالدستور الى الاضمحلال لولا قيام العقلاء وتوجيه سهام الملامة على الماسونيَّة جرثومة الفساد . ومما كتبهُ وتتنذر في هذا الصدد امير زاده محمد سعيد (اطلب العدد ٨٠٥ من الاتحاد العثماني) مقالة وصف فيها الفتن الداخليَّة واسبابها وجعل الماسونيَّة في مقدماتها وجاهر بسروره « أن راى الحكومة قد ادركت خطر الجمعيَّات السريَّة فامرت بحلها » ثم قال :

الجمعيَّة فاذا هي شبيهة بيمين الماسون في بعض امورها فمن جملة ما يقسم عليهِ الداخل قولهُ : « اقسم بديني وشرفي . . . بان لا ابوح بسرٍّ من اسرارها . . . واحلف بانَّني اتمم بالتدقيق جميع الواجبات التي تُفرض عليَّ واطيع طاعة عمياء الاوامر التي تنديني اليها الجمعيَّة وبانَّني لا اخون مصالحهم ولا احنث بيميني وبانَّني مستعدٌ بان افتك بالمدَّونة حالًا عند ما تاتيني الاوامر واقتل كل من يسعى لمحاكمة غاية الجمعية . وبانَّني مستعدٌ لتضحية حياتي وتسليم روحي لايدي اعضاء الجمعية الذين لدجم الاوامر بالقبض على كلّ خائن اينما وُجد » كذا ! !

« ولا تسَلْ ايها القاري عمَّا حصل في افئدة المسلمين من الفرح والسرور لزوال ذلك الميكروب الذي كاد يُهلك الحرثَ لولا ان اهلكهُ بارئ الوجود . . . فاليكم ايها المغرورون ارجّه كلامي فقولوا لي كيف تدخلون دخول الاعمى في مثل تلك المجمعيات التي ترعم انَّ بعض الرجال العظام قد دخلوها مع انَّ عظامهم وذرّاتهم في التراب تتبرأ من ذلك . . . فارجعوا الى شريعتكم الغرّاء » . . .

ومما ورد في اسباب هذه الازمة قول جريدة الثبات (في عددها ٧٥٨ الصادر في ٤ ايار) قالت بعد كلام طويل تبين دسائس الماسونية :

« ما لا مراء فيه هو انَّ المحافل السياسية العثمانية مساءة اسيئاء شديدًا اولًا من تدخل المحافل (الماسونية) في شؤون الدولة وثانيًا من اندماج خصوم الدستور واعداء جمعية الاتحاد والترقي في تلك المحافل نذكر منهم شريف باشا صاحب جريدة « مشروطيت » التي تصدر الآن في باريس وعزّت باشا العابد السكرتير الثاني للسلطان عبد الحميد الموجود الآن في مصر فانَّ هذا الرجل وتريد بهِ عزّت العابد دخل في المحفل المصري الذي يرأسهُ حضرة ادريس بك راغب في جلسة استثنائيَّة ودفع ١٥٠ جنيهًا مصريًا مساعدةً واحسانًا ثم انتقل الى المحفل الفرنسوي . وقد عدَّت حكومة الاحرار الشاتبين ادخال عزّت العابد على تلك الصورة عداء من الماسونية لها وللدستور الشاني ونظر اليهِ المحفل الاكبر في الاستانة شزرًا فحذف اسم ادريس بك راغب رئيس المحافل الماسونية المصريَّة من بين اعضائهِ ويعرف كثيرون من الاعضاء انَّ اربعة او خمسة من المحافل السوريَّة واللبنانية تابعة لهُ . وعلى اثر ذلك اصدر يوسف بك السكاكيني مستشار المحفل الاكبر في الاستانة المقيم في مصر منشورًا ضدَّ ادريس بك راغب رئيس المحافل المصرية ونجيب بك المازوري سكرتيره وضدَّ شريف باشا وعزّت العابد وغيرهما من خصوم الحكومة الحاضرة الذين انضوا تحت لواء الماسونية متَّهمًا اياهم بالمروق والخيانة . فرفع ادريس بك راغب ونجيب بك المازوري دعواهما عليهِ الى محكمة قصليَّة فرنسا . . . فيتاهر من كل ما تقدَّم انَّ الخلاف بين الحكومة والماسونية دائر على نقطتين جوهريَّتين وهما تدخُّل الماسونية فيما لا يعنيها من شؤون البلاد وبالتالي نصبُها نفسها حكومةً ضمن الحكومة . والثاني قبولها اشخاصًا مثل عزّت العابد وهو يد عبد الحميد اليسرى ولد الدستور الشاني »

فترى ان الماسونيَّة العثمانيَّة كالسوريَّة وكالمصرية وكالاوربيَّة وكالاميركية جارية على وتيرتها اعني نصب المكايد وبعث الفتن واضرام نار الفوضى حيثما حلَّت . ولا عزو فلا يُجنى من الشوك عنب ولا من العوسج تين . فمن اثمار الماسونية عرفناها ويعرفها كلّ من لا يعمي بصيرتهُ النور

وقد حاول وليّ الدين يكن ان يدافع عن الماسونية العثمانية في فصل نشرهُ في

المتطم في تاريخ ٣ يونيو من السنة الجارية فـاتى بكلام ينقضهُ كلُّ سطر من مقالاتنا السابقة والى اليوم لم يفندهُ ماسوني واحد بالبرهان ومن اقوالهِ هناك: « لا يشأ الماسونيَّ سوى معلم او مُقلقس او من كان تبعاً لاحدهما » وقد رأيت انَّ أتباع الماسونية نفسهم يشنأونهـا فضلاً عن اصحاب العمائم والقلانس. ثم قـال « ان النُّلاة في امر الدين يحبُّون الاثرة لانفسهم بالجاه والسلطان فلا ترضيهم احكام الماسونيـة وهي المساواة في الحقوق والحرية المشروعة والاخاء بين الشعوب » وقد ظهر لك باقرار الماسون انَّ كل ذلك كلام فارغ لم يعد احد ينخدع بهِ. ثم قال « ما سمعنا ان ماسونياً تعرَّض لدين من الاديان » والماسوني كما ثبت لك بنصوص لا تحصى يرى في الـدين عدوَّهُ الالد ويقوم في وجه اربابهِ كلما تعرَّضوا لهُ في نيـاتهِ الخبيثة وينسبهم الى التعصُّب الاعمى والضلال « لانَّ الماسونية (كما اقر وليُّ الدين في هذه المقالة) تسعى في محو آثار الضلالات » وهي تعدُّ ضلالاً كل ما لا ترضى بهِ من الاديان وتنسب الى نفسها الحكم الفصل في صوابهِ او فسادهِ

فما اضعف هذا الدفاع من الماسونية المثانية وهو اشبه باقرار معترف عن ذنبهِ. واصدق منهُ ما كتبهُ صاحب الهدى في عدد ١٧ حزيران في مقالـة عنوانها « الماسونية وكلمتنا الاخيرة » فممَّا كتبهُ فيها قولهُ عن الدستور والماسونية:

« اكبرُ خطر على الدستور العثماني الماسونية . . . لانَّ الماسونية جمهوريَّة بالاسم تحاول قلب كلّ ملكيَّة وخلافة وسلطنة لتنازع معروفة اسمها ان يكون من اعضائها رؤساء وقوَّاد وحكَّام. ومع كونها تحاول استبدال كل ملكيَّة بجمهوريَّة فهي في الوقت نفسهِ اخشنُ مستبدَّة واغلظُ ظالمة واقبح مستأثرة لانَّ الجمهوريَّة شورى والماسونة غير شورى وغير شعبية وغير عمومية فهي اذن خطر فوق كل خطر على الدستور العثماني الذي من مبادئهِ مصونُ المخالفة »

وقال يصف الماسونية بالعصيان على كلّ سلطة وبالاستبداد الفاحش:

« الماسونية متمرِّدة على كل سلطة . . . حتى تسلَّم وتذعن لها بكل ما تريد. ومن اسباب هذا التمرُّد الاستبداد والادِّعاء والانانيَّة . . . انَّ الماسونيَّة التي تنتقد الكثلكة لاعتقادها بالعصمة المشروط فيها التعليم لا تجد حسناً الَّا في نفسها ولا كمالاً الَّا في فيها . هـذه الجمعيَّة التي تتبجَّح بالحريَّة والاخاء والمساواة لم يقم من ابنائها من يجرؤ على انتقادهـا خوفاً من انتقامها وظلمها فانتفخت بالعجب وتورَّمت بالفساد والاستبداد وعزَّ الشفاء اذ لا طبَّ فيهـا او لانَّ اطبَّاءها جُبناء . . . واكثر اعضائها يميلون الى التراخي رقَّـة الاكتراث او لانَّ جمهورهم من المتقلقين والقاطنين والمستبيحين المتهوِّرين. قابل ايُّها القارئ بين اكثر النـاس استبداداً من رجال الدين

الذين تتخذهم الماسونية هدفاً لرمايها وبين جمهور الماسونيين فلا تجد ان رجال الدين احوج الى الاصلاح من متقدميهم الذين يحسنون التخريب ولا يقدرون على البنيان »

وللكاتب الاديب في هذه المقالة احكام اخرى جديرة بالاعتبار منها قولهُ في تعصُّب الماسون قال:

« ليس بين طوائف البشر طائفة متعصّبة لما تقول انهُ من مبادئها تعصُّب الماسونيين للماسونية واكثرهم يتعصَّب دون ان يفهم شيئاً من الماسونية . وهذا التعصُّب الذميم الذي تنكر الجمعية انهُ من مبادئها هو هو قوام تلك المبادئ »

وقولهُ في لصوصية الماسونية التي تسرق تعاليم الكنيسة وتنسبها زوراً الى نفسها قال:

« ما هي مبادئ الماسونية الشريفة التي لم تسرقها من التعاليم المسيحية ومن كتبها؟ . . . اذا وُجد من يثبت لنا انَّ في الماسونية مبدأ واحداً شريفاً غير مأخوذ من مبادئ النصرانية فنحن نعتذر علناً ولا نعود نكتب في هذه الجمعية العظيمة الا كل كلمة ثناء . وبهذا القول لا نتناول كل مبدإ للماسونية اذ يوجد لها مبادئ (وهي تخفيها غاية جهدها) ليست مسيحية وليست شريفة »

ثمَّ عدَّد المؤلف التناقض الظاهر بين اقوال الماسون واعمالهم فقال:

« تفتخر الماسونية بمصادرة الخرافات وهي لا تزال عاملة بها فالتصوير والاعتراف مثلاً من الخرافات عند الماسونيين مثل سائر اسرار الكنيسة المسيحية ولكن كل من يعرف شيئاً عن هذه الجمعية القديرة يعرف انَّ في « تمسين » المنتظم في سلكها خرافات حقيقيَّة هي من ذخائر الوثنية . . . والسرّ في سرّ الماسونية اخفاء خرافاتها . . . وترى الماسوني الذي كنَّا نعرفهُ قبلاً مثل كلّ واحد منَّا يصير بعد الانضمام الى الماسونية غريباً عجيباً في تلفتهِ وتصنُّعهِ وتصلُّبهِ

« ومن مفاخر الماسونية انَّ اعضاءها راقون وانَّها هي مرقية . ولا مدافعة في رقيّ الكثيرين من الماسونيين القريبين (؟!) كما انهُ لا مشاحَّة من انحطاط الاكثرين من الماسونيين الشرقيين . على انَّ هذا الرقيّ ليس نتيجة التعاليم الماسونية اذ ليس للماسونية اثر جميل من المدارس والمياتم والمعاهد والملاجئ بل هو نتيجة التهذيب المسيحي الذي يظهر الماسونيون بعضهُ . الماسونية لا تبذل مالاً للتهذيب والعالم لم يرَ لها للآن آثاراً تهذيبية حقيقيَّة وما يقال عن المنشئ الفلاني والشاعر الفلاني والعالم الفلاني وانهم خدموا او هذَّبوا فجوابنا انهم لم يدرسوا في مدارس ماسونية وانَّ فضائلهم مستمدَّة من غيرها . الماسونية بركانٌ يقذف الحُمَم ويبعث شيئاً من النور اذ يكون يقذفها الا انَّ الضرر اوفر من النفع بالوف من الاضعاف . والماسونية تجمع الاموال ولا تفيد الانسانية بها الا اذا اعتبرنا إنفاقها كثيراً من المال في القتال والجدال من الافادات العمومية . . .

« وكذلك لا نعتقد بوجود حرّية واخاء ومساواة للماسونية نفسها فاذا كان عضوٌ فيها حرًّا

فذلك لانهُ كان من قبل حرًّا وهكذا في الاخاء والمساواة. هذه هي حريَّة اكثر الماسونيين السوريين اباحةٌ وتطرُّفٌ وهذا هو الاخاء بينهم لفظي لا معنى لهُ اذ انَّ اكثيرين منهم جعلهم الماسونيُّون بعد ان يُنكّبوا ويصابوا. . . امَّا المساواة فكاذبة وباطلة وفاسدة والبيان انهُ لا توجد كنيسة واحدة مسيحية الَّا يستطيع ان يكون كل فقير وصعلوك من ابناء رعيَّتها مثل الامبراطور والملك والرئيس والامير امَّا المحافل الماسونية فلها مرتبات خصوصية ولا يُقبل بها كاعضاء الَّا الخاصَّة. فهل المساواة الماسونية كذب ام لا؟. . .

« ترعم الماسونية انها انسانية محضة ثم هي تعدّد كل من يبوح بسرّها بالقتل وقد كانت تقتل في وقت من الاوقات الى ان هدَّدتها الحكومات المتمدّنة بالالغاء وهنا امريكا. . .

« ومن التناقض مخالفة الشرائع المسيحية لارضاء غيرها. اليك مثلًا تعدُّد الزوجات ورضى الماسونيين به في بلاد ورفضه في اخرى واطلاق الذي هو مثلهُ. والقتل الذي لا يجوز الَّا للحكومة وهي تجيزهُ سرًّا للافراد وتنكر اجازتهُ علنًا

« ومن التناقض ادّعاء اطلاق الحريَّة الدينيَّة مع انَّ في الماسونية نفسها ما ينقض هذه الدعوى فألوهيَّة المسيح مثلًا غير مُسلَّم بها في الماسونية كما لا تسلَّم بنبوَّة محمد ومع ذلك ترى ان هذه الجمعيَّة تتظاهر مع كل رجل بدينهِ وتوهم انها من كل دين واذا انضمَّ اليها الرجل اصبح فاتر الدين او قليلهُ او بلا دين على الاطلاق. . . والوقاحة الغريبة هي ادّعاء الماسونيين من النصارى والمسلمين واليهوديين انهم محافظون على اديانهم وهم غير محافظين اذ لا يقدر احد على الايمان والكفر في وقت واحد ولا يستطيع انسان ان يجمع بين النور والظلمة. . . »

ويحسن بنا ان نستطرد هنا فنؤيد قول الهدى بما روتهُ جريدة الاتحاد العثماني فنقلتهُ جريدة البشير في عددها الصادر في ١١ تموز الاخير وذلك ما قرَّع بهِ صاحب جريدة الاتحاد العثماني الفاضل رئيسَ المدرسة العلمانية اللادينيَّة والماسونية المسيو ديشان لتحامل احد اساتذته على كل الاديان قال:

« اعلم يا حضرة الرئيس اننا نحن معاشر المسلمين كنَّا نظنّ انكم تعدّون العلم للعلم وتحترمون الدين ولا تتعرَّضون لهُ بوجه من الوجوه وأحببنا ان نتَّفق معكم بشأن مدرسة الصنائع غير انَّ آراءنا فيكم ما لبثت ان تغيَّرت فعقدنا النيَّة في السنة الآتية على انْ لا نضع في مدرستكم ولا تلميذًا مسلمًا: وكيف يجوز لنا ان نضع اولادنا عندكم وقد قال احدهم عليكم « ان محمدًا والمسيح ودوني يجب ان نضعهم في كيس واحد ونلقيهم في البحر » فمن يحتمل هذا الكفر الفاضح وهذا الكلام المهين للرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام »

فلم يجد المسيو ديشان جوابًا ليتنصَّل من هذا الملام سوى قولهِ « اراكم تعلّقون الاهمية الكبرى على كلمة صغيرة (!!) قالها المعلم على غير قصد. انهُ قالها على سبيل المزح ليعض تلامذة تأخروا عن دروسهم بسبب بعض اعياد دينية » فيا لهُ من عذر اقبح من

ذنب كما ترى. وليس هـذه اوّل مرّة تحامل على الاديان اصحاب المدرسة المذكورة. وقد نقل البشير شواهد عديدة كفرية عن كتاب احد معلمي تلك المدرسة المسيو ارنو.

ثمّ قال صاحب الهدى عن تناقض الماسونية :

« ومن التناقض ايضاً التظاهر باعتبار المرأة وكلّ يعلم انّ الجمعيّة تحتقر المرأة. . فابن الفرق بينها وبين المسيحيّة التي تحترم الامّ والاخت والزوجة والتي كانت الاولى في التاريخ لمساواة المرأة بالرجل لخيره وشرفه وهذّبها وحرّرها لشرفه وسعادته ورقّتها وصانتها لترقيته وصونه. الماسونيّة الدُّ اعداء روح المرأة واصدق اصدقاء جسدها ! . . .

« ومن التناقض النبيح دعوى التساهل مع ان الماسونية رافعة لواء التعصّب وهازّة سيف الاستبداد وناشرة روح الانانيّة والذاتيّة لأن كل شيء ماسوني حسن وكل شيء غير ماسوني غير حسن. كل كنيسة نجيزها صديقةٌ وكلّ كنيسة لا نجيزها عدوّةٌ. كل دولة تلقي اليها مقاليدها راقية وكل دولة تسل بالشرائع وتحترم الشعب منحطّة »

فلله درُّهُ من كلام مصيب وفيه لباب ما رويناهُ في مقالاتنا السابقة عن الماسونية احببنا نقلهُ ليرى القرّاء ان كل من يختبر الماسونيّة ويطلع على مكنوناتها يحكم فيها حكمنا بل حكم كل ذي عقل ودين

رابعاً الماسونيّة اليهوديّة

من المقرّر الثابت الذي لا يمكن اليوم عاقلاً ان ينكرهُ لكثرة الدلائل على صحته انّ العامل الكبير في ادارة الماسونيّة وجمع كلمتها انّما هو العنصر اليهودي فان الموسويين بما في ايديهم من الاموال الطائلة ولانتشارهم في كل انحاء المعمور ولا سيما لبغضهم المطبق نحو الدين المسيحي اقدر من سواهم على ضبط دفّة الماسونيّة وتدبير امورها

لكنّ الماسونيّة الشرقيّة حتى هـذه الازمنة الاخيرة كانت بايدٍ اجنبيّة لا يكاد يلوح فيها عمل اليهود. فلما أُعلن بالدستور وتمّ الانقلاب العثماني ظهرت اليهودية في اتمّ مجاليها. وكلّ يعلم انّ مركز ذلك الانقلاب انما كان في سالونيك واليهود فيها نيف وسبعون الفاً. فلمّا أُنشئت جمعية الاتحاد والترقي تحت سيطرة الماسونيّة كان للضباط وجندهم القوّة العاملة امّا التدبير لتنفيذ العمل واخراجه الى حيّز الوجود فكان في ايدي الموسويين الذين تعهّدوا بدفع المبالغ الماليّة اللازمة لذلك المشروع . ثم نفذ بالفعل

فاسرع الموسويون وتربّعوا مع الضباط في دست السلطة وقاسموهم الغنائم الحميدية. ولما اراد السلطان السابق ان يتخلص من ربقة الدستور وجرى من الحوادث ما جرى في اواخر نيسان سنة ١٩٠٩ أُرسل الى عبد الحميد وقد يؤذنه بالخلع وكان من جملة الساعين بالامر رئيس محفل الماسون في سالونيك وهو يهودي مع احد المسلمين اليهود

ثم تعاظمت بعد ذلك حركة الموسويين حتى لستاء منها المحافظون وقاوموها بعزم ادّى الى سقوط جاويد بك والى وضع حدود لعمل بني اسرائيل. ودونك بعض ما نقلته وقتئذٍ الاهرام عن جريدة « المورن پوسط » قالت:

« تمثّلت جمعية الاتحاد والترقي بعد خلع عبد الحميد باخلاق الماسونية واليهودية ولبست ثوبها. ولما حدثت ثورة ابريل ١٩٠٩ نالت العناصر اليهودية اهميّة اكبر. فجاويد بك وزير المالية وطلعت بك وزير الداخلية السابق ورئيس الجمعيّة وجاهد بك محرّر طنين ومستشار جاويد بك المخصوصي كلّهم ماسون واولهم من سلالة يهودية فاستاء ضبّاط الجيش والاتراك كثيرًا لتفوّق بعض الافراد الذين ليسوا اتراكًا حقيقيين والذين تُحسب علائقهم مع يهود اوربا سهلة لنشر الجامعة الصهيونية ويعتقد الاتراك ان الغرض من الجامعة الصهيونية هو تأليف مملكة يهودية في اسيا الصغرى ويتوجّسون من المستعمرات اليهودية المنشأة في سوريا ويخافون ان تكون مراكز لنفوذ الاجانب ولاسيّما الالمان منهم. ذلك لأنّ الاتراك لاحظوا منذ امد طويل انّ اليهود ولاسيّما الاشكنازيين منهم اي اليهود البولانديين (البولونيين) والروسيين والالمانيين انّما هم من مجي الدولة الالمانية. ولمّا قامت منذ مدّة المشكلة بين الحكومة الايطالية والباب العالي بشان طرابلس الغرب أرسل السنيور لوتراتي اليهودي الذي كان رئيس الوزارة حينذاك رسولًا يهوديًا ايطاليًا ماسونيًا الى القسطنطينيّة لكي يسعى لمصلحة ايطاليا مستخدمًا الوسائل الماسونية للوغ مناه ويقال انّ مهمّته لم تنجح لان النفوذ الالماني اليهودي كان اقوى

« ومن اهم عوامل النفوذ الالماني في الاستانة « سامو هشبورغ » وهو يهودي اشكنازي ماسوني ومحرّر جريدة « عثمانيشر لويد » وهو قد نصب نفسهُ مدافعًا عن جمعيّة الاتحاد والترقي

« وبسبب تأييد الجرائد المتنازية والنمساوية والالمانية وغيرها لنفوذ اليهود والماسونيّة ومظالمهم لم تنشر لاوربا المظالم التي لحقت بالنصارى في مكدونيا في الحريف الماضت حتى فات الوقت ولم يُعد الضغط على الحكومة العثمانية نافعًا مع ذلك الحيف. ولا ريب ان ما عرفتهُ اوربا عن تلك المظالم كان بواسطة غير يهودية بل بالوسائط المضادّة لليهود

« ولذلك استيقظ حزب الاتحاد والترقي وتنبّه لمرج الموقف . . . ووجه صادق بك كل همّتهِ لمقاومة جاويد بك وزير المالية الذي ساءت به الظنون لوفرة علائقه بالمضاربين ولإسباغهِ النعم على آلهِ وصحبهِ وغيرهم من اليهود المسلمين . . . ويعتقدون ان سبب خوض حركة تركيا الفتاة وسقوطها عدم اعتدال اليهود الاتراك سواء كانوا مسلمين او بقوا يهودًا احرارًا فهم يحاولون ان يحصلوا على نفوذ كبير من غير ان يفتكروا بان سعيهم هذا يثير غيرة الاتراك

وحدهم. واعظم غلطة ارتكبوها اهم رضوا بانّ كاراسو افندي (الماسوني اليهودي) يكون من الوفد الذي حمل الفتوى الى عبد الحميد بخلعه. وقد ارتكبوا بعدها عدّة اغلاط والآن صارت الاغلاط تبدو وتظهر...»

وممّن اشاروا الى عمل اليهود في الماسونية السيّد محمد رشيد رضا في المنار (١٤: ١٨٠) قال:

«وقد كان المؤسسون لها (اي الماسونية) والعاملون فيها في اوربّا من النصارى واليهود. واليهود هم زعماؤها واصحاب القدح المعلّى فيها... وكذلك كان اليهود أكثر الناس انتفاعاً من الانقلابات التي سمت اليها الماسونيّة في اوربّا وسيكونون كذلك في البلاد العثمانية اذا بقيت سلطة الماسونية على حالها في جمعية الاتحاد والترقي وبقيت ازمّة الدولة في يد هذه الجمعيّة وهم يسعون مثل هذا السعي في الروسيّة ولكن الحكومة الروسيّة واقفة لليهود بالمرصاد ولا يزالون يتجرّعون في بلادها زقّوم الاضطهاد»

وقد افادنا جنابهُ سابقاً انّ زعماء جمعيّة الاتحاد والترقي من شيعة الماسون «وانّ من لوازم تشيّعهم للماسون قوّة نفوذ اليهود فيهم وفي الدولة» (اطلب ص ٦١٠)

فهذه الشواهد عن الماسونية اليهودية في تركيا جاءت مويدة لما نعرفهُ من سيطرة اليهود على الماسونية في اوربة واميركة ولو اردنا بيان الرابطة الوثقى التي بين الماسونية واليهودية لطال بنا الكلام ونكتفي لبيان ذلك بهذه الملحوظات:

١ انّ كثيرًا من الرتب والطقوس الماسونية تنبعث منها رائحة اليهودية بل معظمها يشير الى عادات يهودية واخبار يهودية والفاظ يهودية (عبرانية) وغايات يهودية. قال احد كبار كتبة العصر السابق اليهودي لايينوا (H. de l'Epinois) في مجلّة المباحث التاريخية في نيسان سنة ١٨٨٢: «ليست بعلاقة اوثق من علاقة الماسونية واليهودية فانّ ذوي النظر لدى مشاهدتها لا يتمالكون عن هذا الحكم او انّ الماسونية تحوّلت الى اليهودية او بالحري انّ اليهود «تمسّنوا» لادراك غاياتهم الخبيثة»

٢ انّ زعماء الماسونية لا سيما الخفيين منهم هم غالباً من اليهود

٣ انّ الامور التي تسعى في تنفيذها الدول المنقادة الى الماسون واليهود هي امور طالما دافع اليهود عنها سواء كان في امور الدين او في الماليّة او في المعارف العمومية لهم فيها السهم الافوز

٤ انّ كثيرًا من الاوراق الماسونية السرية التي اكتشفت عليها الحكومات في ايطالية والنمسة وفرنسة وغيرها انما كانت بقلم يهود

فهذه واشباه كثيرة فيها لا تبقي في الامر ريباً قد بيّنها السيد مورين(Meurin) في كتابه الذي اشرنا اليه . وقد عاد كثيرون من بعده واتّسموا في هـذا البحث حتى صار الامر اجلى من النور . اطلب ايضاً كتاب الكاتب درومون (L. Drumont) في فرنسة اليهودية (La France juive) وكتاب جمعيّة القديس اوغسطين الذي عنوانهُ يهودية وماسونية (Judaïsme et Franc-maçonnerie) تجد ما يرشدك الى الصواب في ذلك وتعلم مبلغ النصارى والمسلمين من الجهل اذ ينتظمون في سلك جماعة يديرها اليهود الدّ اعداء دينهم وتسعى في تقوية العنصر اليهودي وتنفيذ المآرب اليهودية !!! (لها بقية)

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الباب الخامس

النصرانية في اليمن

فلندعنَّ طور سينا لنتحدر الى اطراف جزيرة العرب في جنوبها الشرقيّ حيث نلقى بلاداً واسعةً كثيرة الخيرات وافرة الاسباب تمتدُّ بين بحر القلزم وبحر الهند فيها السهول الرحبة المخصبة والجبال الطيبة الهواء الغنيَّة بالمعادن وبالاشجار النافعة كالكروم والبنّ والوَرْس واللُّبان او الكُندُر . فتلك البلاد سكنتها امم عديدة تزاحمت فيها وتنازعت على ملكها وتركت فيها آثاراً عظيمة من ابنيتها كهياكل وقصور اشهرها قصرا غمدان وريدان وكانت تلك الشعوب من عناصر شتّى وقبائل مختلفة منها كوشيَّة ومنها ساميَّة . وبلاد اليمن تشمل عدَّة اعمال ومخاليف كأسير وزَهرة وحضرموت والشحر ومن مدنها الشهيرة مأرب ذات السدّ قاعدة تبابعة اليمن ومن

حواضرهم ايضاً ظفار وصنعاء ونجران وزبيد وذمار وعَدَن كلها قصبات شهيرة حافلة بالسكّان دارّة المرافق. وكانت لغتها من اللغات الساميّة تُدعى بالحميريّة لها قلمٌ خاصّ يُعرف بالمُسند وجد منها الاثريّون المحدثون كتابات عديدة يرتقي بعضها الى الازمنة السابقة لتاريخ الميلاد بثمين من السنين تدلُّ على انَّ اهلها كانوا يدينون بالصابئيّة ويكرمون القوّات العلويّة والنيّرات السماويّة والسيّارات السبع وكان التملّك على اليمن في اوائل تاريخ الميلاد ملوك من حمير يتلقّبون في الكتابات المكتشفة حديثاً في جنوبي جزيرة العرب « بملوك سبإ وذي ريدان » ولمّا استولى ملوك حمير على بلاد حضرموت نحو السنة ٣٠٠ للمسيح اضافوا الى القابهم « ملوك حضرموت ويمانات » (١

لا مراء انَّ النصرانية منذ بزوغها وتّجهت انظارها الى اليمن كما يشهد عليه اقدم الكتبة الغربيين والشرقيين حتى انَّ بعض الآباء زعموا ان المجوس الثلاثة الذين سبق ترجيحنا لجنسهم العربيّ كانوا من اليمن وماتوا شهداء في صنعاء بعد ان عمّدهم القديس توما قبل سفره من عدن الى الهند (٢

ومن الرُّسل الذين يُنسب اليها التبشير بالمسيح في اليمن متى الرسول فانَّ اوريجانس في كتابه الذي ردَّ فيه على الامم ومثلهُ المؤرخ سقراط (ك ١ ف ١٥) وروفينوس في تاريخه (ك ١ ف ٩) والقديس هيرونيموس في تأليفه عن الكتبة الكنسيين ونيقيفوروس في تاريخه (ك ٢ ف ٤٠) كلهم يؤكدون بانَّ متى الرسول بشّر في جهات الحبش وادّعى المحدثون بان اسم الحبش يطلق ايضاً على اليمن وهو اسمٌ شاع عند القدماء فسمّوا به تلك الناحية لانَّ الحبشة كانوا استولوا مدّة طويلة على اليمن ولأنَّ قبائل من الحبشة كانت اجتازت من سواحل الحبش الى اليمن وهذا القول لا يخلو من الصحّة لان القدماء ربّما دعوا اهل اليمن بالحبش منذ عهد هيرودوتس واسطرابون (ك ١ ص٥١ من طبعة اوكسفورد) الّا انَّ معظم الكتبة لا يسلّمون بذلك ويزعمون انَّ القديس متى بشّر حبشة افريقية ليس عرب اليمن

---

١) اطلب دائرة العلوم الاسلامية (Encyclopédie de l'Islam, p. 383)

٢) اطلب اعمال الآباء اللاتين (Migne, P. L., XXI, 230)

وسبق لنا ذكر القديس برتلماوس ودعوتهُ للعرب فانَّ الكتبة القدماء كاوريجانوس واوسابيوس القيصري (في التاريخ الكنسي ك ١ ف ١٠) وسقراط المؤرخ زادوا على تعريفهم للعرب بقولهم انَّ الرسول برتلماوس بشَّر بالمسيح في الهند القريبة يريدون بها اليمن لانَّ اسم اليمن كان مجهولاً لديهم فسمَّوها بالهند القريبة معارضةً بالهند الشرقيَّة ما وراء البحر الهندي. ثم انَّ المؤرخ فيلوستوجيوس (ك ٢ ف ٦) وتاوفانوس في تاريخ سنة العالم (٦٠٦٤) وتاوفيلاكتوس (ك ٣) يدعون الحميريين بالهنود. وزاد بعضهم ايضاحاً فقالوا ان برتلماوس بشَّر بني سبأ. وفي الميناون المنسوب الى الملك باسيل يقال انهُ بشَّر لهنود العربيَّة السعيدة وهي اليمن كما لا يخفى

وقد رأيت آنفاً انهم ينسبون ايضاً دعوة النصرانيَّة في بلاد العرب الى القديس توما قبل سفرهِ الى الاقطار الهنديَّة. وقد ارتاى هذا الرأي القديس غريغوريوس النزيانزيّ في ميمره عن الرسل. ومثلهُ تاودوريطس في كتابهِ عن الاناجيل (ك ٩) وبعض كتبة السريان

ومن الشواهد الجليلة التي توقفنا على دخول النصرانيَّة في اليمن منذ القرون الاولى لتاريخ الميلاد ما رواه اوسابيوس القيصري (ك ٥ ف ١٠) ومثلهُ هيرونيموس (Hieron., de vir, illustr. c. 36) عن احد العلماء الاسكندريين في النصف الثاني من القرن الثاني للمسيح: ألا وهو پنتانوس الفيلسوف فانَّ هذا كان من الفلاسفة الرواقيين جيد الوثنيَّة وتذخر وعهد اليه دمتريوس اسقف الاسكندريَّة التدريس في مدرسة الاسكندريَّة ففعل واحرز لهُ شهرةً واسعةً بالتعليم الديني وعنهُ اخذ اوريجانوس المعلم الكبير فپنتانوس المذكور نحو السنة ١٨٣ للمسيح تنزَّل عن التدريس وسافر الى الهند ليبشر فيها بالدين النصرانيّ. وقد اتفق المؤرخون على انَّ الهند المقصودة هنا هي المجاورة لمصر اعني بلاد اليمن كما سبق

قال اوسابيوس: « فبلغ پنتانوس تلك الجهات ودعا الى النصرانيَّة اهلها فاوقفوهُ على انجيل مخطوط بالعبرانيَّة (١ للقديس متى كان اتى بهِ اليهم القديس

---

(١) يراد بالعبرانية اللغة الفلسطينيَّة التي كانت شائعة في ايَّام السيد المسيح وهي من فروع الاراميَّة

برتلماوس الرسول واودعهُ عندهم » وفي هذا القول شهادة على ما سبق بالدعوة النصرانيَّة في جهات اليمن منذ عهد الرسل

هل كان لدعوة پنتانوس في اليمن تأثير في اهل تلك البلاد ؟ ذلك امر لا يمكن القطع بهِ وانما هو محتمل بل مرجَّح ففي وجودهِ بين القوم انجيلاً قديماً دليل على ان النصرانية التي بشَّر بها برتلماوس الرسول لم تمت بينهم . ويؤخذ من رواية اوسابيوس انَّ الاستاذ الاسكندري عاد الى وطنهِ راضياً شاكراً لم يذهب تعبهُ سُدًى . ولعلَّهُ لم ينسَ اولئك الموعوظين فأمدَّهم برسلين يجاورونهُ في عملهِ . وكما هاجر بعض النصارى المصريين في زمن الاضطهادات الى جهات سينا وبادية الشام على ما روى المؤرخون يجوز القول ايضاً بانَّ قوماً منهم هاجروا الى اليمن لا سيما في عهد دقيوس وديوقلطيانوس فنشروا دينهم فيما بينهم

ومما يُستدل اليهِ من تواريخ العرب كالطبريّ وسيرة الرسول لابن هشام والمسعوديّ وغيرهم انَّ النصرانية واليهودية اخذتا في النزاع والمخاصمة منذ اواسط القرن الثالث للمسيح . وبلغ الخصام الى اعيان الدولة وملوكها . فيخبرون ان التبَّع اسعد ابا كرب تهوَّد على يد رَبانيَّين من يثرب وحمل اهل رعيَّتهِ على التهوُّد وتبعهُ في امرهِ بعض اولادهِ بعدهُ لكنَّ النصرانيَّة فازت في عهد عبد كلال بن مثوَّب

وقيل ان عبد كلال المذكور ملك في القسم الثاني من القرن الثالث (١ منذ نحو السنة ٢٧٣ للمسيح الى ٢٩٧ وقد جعل حمزة الاصفهاني ملكهُ (ف ١٣١ طبعة بطرسبرج) اربعاً وسبعين سنة . وقد اتفق المؤرخون على تدينهِ بالنصرانيَّة . جاء في القصيدة الحميريَّة

ام أين عبد كُلالٍ الماضي على دين المسيح الطاهر المسَّاحِ

وقال الطبريّ في تاريخهِ (طبعة ليدن ج ١ ص ٨٨١) :

وملك بعد عمرو بن تبع عبدُ كُلال بن مثوَّب . . . فاخذ الملكَ عبد كُلال . . . وولية بسنّ وتجربة وسياسة حسنة وكان فيما ذكروا على دين النصرانية الاولى وكان يسرّ ذلك من قومهِ وكان الذي دعاه اليهِ رجلٌ من غسَّان قدم عليهِ من الشام فوثبت حمير بالغسَّاني فقتلهُ

---

١) اطلب تاريخ العرب لكوسان دي پرسڤال (C. de Perceval: *Essai sur l'Hist. des Arabes*, I, 107)

ثمَّ عاد من بعده عبد كلال الى اليهوديَّة اخلافهُ . هذا ما يُستخلص من تواريخ العرب الَّا انَّ هـذه التواريخ سقيمة جدًا ولاسيما تاريخ حمير . قال حمزة الاصفهاني (ص ١٣٤) : « ليس في جميع التواريخ لسقم ولا اخلّ من تاريخ الاقيـال ملوك حمير »

ومما وجد من الكتابات الحجرية الحميرية في اواسط القرن الماضي (CISI. 6) كتابة فيها اسم عبد كلال وامرأته ابعلي وولديه هني وهعلل نقشوها تذكارًا لبناية دار يدعونها « يرث » شيَّدوها « يرضى الرحمان » وذلك في شهر ذي خرف من السنة (الحميريَّة) ٥٧٣ الموافقة للسنة المسيحيَّة ٤٥٨ . فذكرُ الرحمان من الادلة على توحيده او نصرانيَّته

ومن الآثار التاريخيَّة اليونانيَّة عن نفوذ النصرانيَّة في اليمن ما رواه المؤرخ الاريوسي فيلوستورجيوس من كتبة القرن الرابع واوائل الخامس . فكان هـذا من قبّاذوقية وكتب تاريخًا في اثني عشر كتابًا دافع فيه عن اعمال الاريوسيين مباشرة من السنة ٣٠٠ الى ٤٢٥ وتاريخهُ مفقود الَّا ما نقلهُ عنهُ فوطيوس البطريرك القسطنطيني في مكتبته يبلغ نحو ثمانين صفحة (١ ومما رُوي هناك (٢ ان الامبراطور قنسطنسيوس ابن قسطنطين الكبير المتشيِّع للاريوسيَّة ارسل نحو السنة ٣٥٦ وفدًا من الرومان الى الحميريين في اليمن وكان يترأس الوفد تاوفيل الهندي من جزيرة سرنديب اي سيلان . فرحل هذا الى بلادهم ودخل على الملك وقدَّم لهُ الطافًا وهدايا فنال لديه الحظوى وبشَّر هناك بالدين المسيحي واسترخص بتشييد الكنائس بل جادل اليهود الذين وجدهم في بلاط الملك واقنع الملك بالحجج الدامغة عن صحة النصرانيَّة حتى نصَّرهُ . وشيَّد تاوفيل ثلاث كنائس : الاولى في حاضرتهم ظفار والثانية في عَدَن على ساحل الاوقيانوس (الهندي) حيث كان ينزل الرومان للمتاجرة والثالثة في فرضة عند مدخل خليج العجم يظنونها هرمز وعيَّن للمتنصرين رئيسًا ثم رحل . هذا ما رواه فيلستورجيوس الَّا انَّ تشيُّعهُ للاريوسيَّة حدا به الى القول انَّ النصرانيَّة لم تدخل بلاد العرب قبلهُ والامر على خلاف ذلك كما رأيت . والمؤرخون يرون انَّ

١) اعمال الآباء اليونان (Migne, P. G., LXV, col. 459-637)
٢) فيه (Ibid. 482-485)

الاسقف الذي امضى اعمال مجمع نيقية سنة ٣٢٥ باسم « يوحنا اسقف الهند » انما كان اسقفاً على اليمن وقد سبق انَّ اسم الهند كثيراً ما أُطلق على اليمن . وكذلك قد بيَّن العلَّامة المستشرق السنيور ك . روسيني (١ انَّ الملك قسطنسيوس لم يقصد بوفده الى ملك حمير امراً دينيًّا محضاً وانما اراد ان ينهج للرومان طريقاً تجاريَّة في البحر الى اليمن ويعقد محالفةً مع الحميريين ضدَّ الفرس وملكهم سابور الثاني . اما اسم الملك المتنصِّر على يد تارفيل في اليمن فلم يذكرهُ المؤرخ فيلستورجيوس ولعلهُ مرثد بن عبد كلال المالك على ما يظنُّ من السنة ٣٣٠ الى ٣٥٠ وقد اطرأ الثعالبيّ في طبقات الملوك حلمهُ وحبهُ للفقراء وحكمتهُ وتساهلهُ وقال عنهُ انهُ لم يشأ ان يقلق رعاياه بسبب دينهم . او هو وليعة بن مرثد الذي تعصب اوَّلاً لليهوديَّة ثمَّ عدل الى النصرانيَّة . وقد جاء للفيروزابادي ما يؤيد نصرانيَّة هؤلاء الملوك حيث قال « انَّ كثيراً من ملوك اليمن والحيرة تنصَّروا »

ومما يشهد على ثبات المعاهدة التجارية المبرمة بين الرومان والعرب قانون سنَّهُ تاردوسيوس الكبير في تلك الاثناء نظَّم فيهِ امور الوفود الراحلين الى الحميريين والحبشة من الاسكندريَّة (٢

ومن الشهود على نفوذ النصرانيَّة في اليمن القديس هيرونيموس فانهُ غير مرَّة ذكر بين المتنصرين اهل الهند والحبشة . من ذلك رسالتهُ الى مارسلَّا الرومانيَّة (Migne P.L.,XXII. 489) حيث يعدِّد فئات المتقاطرين لزيارة الاراضي المقدَّسة وكلهم على ايمان واحد ممَّن كان يشاهدهم ويحادثهم فجعل في مقدَّمتهم العجم والارمن وعرب اليمن الذين دعاهم باهل الهند والحبشة . وكذلك كرَّر قولهُ في رسالتهِ الى السيدة ليتا (Ibid., XXII. 875) وخصَّ بالذكر « رهبان الهند » اي اليمن كما قلنا

وفي ترجمة القديس سمعان العمودي التي كتبها تاردوريطس في القرن الخامس قد ذكر غير مرَّة بين الذين قصدوا القديس على عموده عرب حمير وقد رآهم تاردوريطس

(١ اطلب اعمال اكادمية لينشاي (Rendiconti d. reale Accademia dei Lincei, *Aprile*, 1911, p. 715)

(٢ اطلب الدستور التيودوسي (Code Theodosien IV, p. 616, *de legatis* l. XII, tit. XII, 2)

عياناً قال (Migne P. G., LXXIV. 104) « ولا يتزاحم حول سمعان اهل بلادنا فقط بل يأتيه جموع من الاسماعيليين والعجم والارمن والكرج والحميريين » وكذلك كتب انطونيوس تلميذ القديس (Ibid., LXXXII, 328): « قد نصّر سمعان العمودي اتماً عديدة من الشرقيين (السراكنة) والعجم والارمن والاسكوتيين وذوي القبائل ». وقد صرّح باسم تلك القبائل قدوتوس المؤلف فقال انهم « الحميريون »

ثمّ انّ النصرانيّة لم تدخل فقط الى اليمن من جهة الجنوب ومن بلاد الرومان ولكن نفذت اليها من جهات الشمال وخصوصاً من العراق فمن المعلوم انّ ملوك الفرس كانوا يسعون في مخالفة ملوك اليمن ويتقرّبون الى اهلها ليستعينوا بهم على ردّ غارات الرومان. وكذلك ملوك اليمن والحبشة ربّما اوفدوا الوفود الى ملوك العجم ليبرموا معهم المعاهدات كما روى المؤرخون (١

وكانت القوافل تسير ذهاباً وايباباً من العراق الى اليمن ومن اليمن الى العراق فالنصرانيّة التي كانت بلغت في الشمال مبلغاً عجيباً ما كانت لتهمل هذه الوسائط لنشر الدين المسيحي في الجنوب. ومن التقاليد الشائعة عند الكلدان ان رسولَي الكلدان الاوّلين اذي وماري سارا ايضاً الى بلاد العرب سكّان الخيم والى نجران وجزائر بحر اليمن (٢

وجاء في المصحف الناموسي (ص ١٨): « وبشّر الجزيرة والموصل وارض السواد كلها وما يليها من ارض التيمن كلها وبلاد العرب سكّان الخيم والى ناحية نجران والجزائر التي في بحر اليمن ماري الذي من السبعين ». والى هذه البشارة في اليمن اشار القديس افرام في القرن الرابع حيث قال في احد مياسره : « جاءت ملكة التيمن (سبأ) الى سليمان ونالت من نوره شعلةً استضاءت بها وبقيت تلك الشرارة مخبوّة تحت الرماد الى ان ظهرت شمس العدل السيد المسيح فاتقدت تلك الشرارة حتى اصبحت نجماً زاهراً ينير اليوم تلك الانحاء. »

---

١) اطلب منشورات لند السريانية (Land: *Anecdota Syriaca*, II, 76 et seqq)

٢) اطلب كتابي فطاركة كرسي المشرق لسليمان بن ماري (طبعة رومية ص ٢) والمجدل لمسرو بن متى الطيرهاني (ص ١)

وما لا ينكر ان النساطرة كانوا انتشروا في تلك البلاد قبل الاسلام وانشأوا عدّة كنائس وكان لهم فيها اساقفة اتوها من قبل جاثليق المشرق اصحاب كرسي المدائن وبقوا فيها بعد الاسلام مدّة كما سترى. وقد ارتأى العلّامة دي ساسي في احدى مقالاته (١ انّ نصارى الشمال من اهل العراق كانوا يتردّدون الى اليمن وانّهم ادخلوا بين اخوانهم في الدين الكتابة السريانيّة بدلًا من الخطّ المسند الشائع هناك قبلهم. وقد روى السمعاني في المكتبة الشرقيّة (Assemani,BO,III¹, 603) انّ اللغة السريانيّة كانت دخلت في جهات عديدة من اليمن. وكذلك ذكر المؤرخ فيلستورجيوس انّ في زمانه كانت مستعمرات اخرى سوريّة احتلّت سواحل افريقية بازاء بلاد العرب وانّ اصحابها كانوا يتكلمون بالسريانيّة. وقد جاء في كتاب كشف الاسرار في بيان قواعد الاقلام الكوفيّة « ان القلم الكوفي كان يُدعى بالسوري » ولعلهُ اراد بذلك شبههُ بالقلم السرياني. وقال هناك انّ آل « طسم وقحطان وحمير » كانوا يكتبون به

*

ومن اعظم الشواهد التي اثبتها العرب على دخول النصرانيّة في اليمن ما رواهُ الطبريّ في تاريخهِ (٢ وياقوت في معجم البلدان (٤ : ٧٥٢) وابن خلدون في كتاب العبر (٢ : ٥٩) وابن هشام في سيرة الرسول (ص ٢٠) وغيرهم انّ اهل نجران وهي من امّهات مدن اليمن تنصّروا جميعهم. وقد ذكروا الخبر في كلام طويل خلاصتهُ انّ رجلًا من بقيّة اصحاب الحواريين « يقال له فيمون وقالوا قيمون وقالوا ميمون (٣ من افضل الناس عبدةً واعرقهم في اعمال الصلاح كان سائحًا تجري على يديهِ الكرامات والمعجزات وصل في سياحته الى بلاد غسّان فنبههُ رجلٌ من اهل الشام اسمهُ صالح فتوغّلا في بلاد العرب ثم اختطفتهما سيّارة وباعوهما بنجران واهلها حينئذٍ من بني الحارث بن كعب المنتمين الى كهلان يعبدون العزّى على صورة النخلة

(١ اطلب (Mémoires des Inscript. et Belles-Lettres, t. 50, p. 266)

(٢ اطلب تاريخهُ (طبعة ليدن) ج ١ ص ٩١٨

(٣ وفي تاريخ فطاركة المشرق لسليمان بن ماري (ص ٢٢) انهُ كان يُدعى حيّان كان اصلهُ من نجران تنصّر في الحيرة وعاد الى وطنهِ فتنصّر على يدهِ خلقٌ من حمير والحبشة

فاوقف فيميون سيِّدهُ على بطلان الشرك بما صنع لديهِ من الآيات ولا سيما اذ دعا ربَّهُ في يوم عيد العزَّى فارسل الله ريحاً جعف النخلة من اصلها فعرف اهل نجران صحة دينهِ ودانوا بدين المسيح. وجعل فيميون عليهم رئيساً احد اشراف المدينة عبدالله بن الثامر ورعاهم اسقفٌ كان يُدعى بولس

واقام اهل نجران على دين المسيح حتى دعاهم الى اليهوديَّة احد ملوكهم اسمهُ ذو نوَّاس كان متعصباً لدين اليهود فأبى النجرانيون اتباعهُ في ضلالهِ وكان رئيسهم اذ ذاك أُسْقُفُهُ الحارث واستعدُّوا للدفاع عن دينهم الَّا انَّ ذا نوَّاس دخلهُ بالمكر وحفر اخاديد (اشار اليها في القرآن) اضرمها ناراً وألقى فيها على ما روى ابن اسحاق عشرين الفاً من النصارى او يزيدون ماتوا في سبيل ايمانهم مع الحارث رئيسهم

على انَّ الخبر لم يلبث ان نما الى قيصر الروم بواسطة رجل من اهل نجران فرَّ هارباً يُدعى دوس ذو ثعلبان فاستنصرهُ على ذي نوَّاس فامر القيصر النجاشيَّ أَلِصْبان ملك الحبشة بمحاربة اليهودي ففعل وارسل جيشاً مع ارياط وابرهة الاشرم فناجزوهُ القتال وظفروا ببلادهِ ومات الطاغية غرقاً. وتمَّ الحبشة فتح اليمن فملكوا عليها اثنتين وسبعين سنة كان اوَّل ملكهم ارياط (٥٢٥) ثم ابرهة الاشرم (٥٣٧ — ٥٧٠) ثمَّ ابنهُ يكسوم (٥٧٠ — ٥٧٢) ثمَّ مسروق (٥٧٢ — ٥٧٥). اما الملوك الحميريُّون فبعد موت ذي نوَّاس حاول احدهم السَّمَيْ ذو جدن ان يضبط زمام الملك لكنهُ قُتل في حرب الحبشة ولم يعودوا الى الملك الَّا في زمن سيف ابن ذي يزن الذي استعان بالفرس واخرج الحبش من اليمن وملك هو وابنهُ معدي كرب. ثمَّ انَّ الفرس لم يلبثوا ان عدُّوا سيطرتهم على تلك البلاد وجعلوا عليها عُمَّالاً كان اوَّلهم وهرز (٥٩٧) ثمَّ بَذان وفي زمنهِ فتح المسلمون نواحي اليمن

هذا ملخَّص ما جاء في تواريخ المسلمين وقد ايَّدتهُ في امورهِ الجوهريَّة التواريخ اليونانيَّة والسريانيَّة كتاريخ الحرب الفارسية لبروكوبيوس الغزي Procop., de Bello Pers. I, c. 20) وتاريخ يوحنَّا المعروف باسقف آسية (Assemani, BO, II, 83) وتاريخ تاوفانوس (ج ١ ص ٣٤٦ من طبعة بونَّا) وتاريخ يوحنَّا ملالا (ص ٤٣٤ من الطبعة عينها) فكلُّ هؤلاء ذكروا امور الحبشة وما جرى من الحروب بين ملكها وملك حمير اليهودي بسبب قتلهِ لنصارى نجران. وفي رواياتهم بعض افادات

عن ذي نوَّاس الـذي يدعونهُ دمنوس او دميانوس وعن القيصر يوستينوس الذي انتصر للمظلومين وبعث الحبشة لمحاربة ملك اليمن . وكان على الحبشة ملك يدعونهُ أليباوس (Elesbaas) او أَلْصبان وصفهُ غيرهم باليستاوس من احكم الملوك واعرقهم في الدين النصرانيّ . وهم يقولون انَّ اسقف نجران المدعو بولس كان توفي قبل هجوم ذي نوَّاس عليها وانَّ الملك اليهودي بعد ظفرهِ بنجران انتهك حرمة قبرهِ

امَّا استشهاد اهل نجران على عهد ذي نوَّاس فقد وصفهُ المعاصرون منهم شمعون اسقف بيت ارشام الذي سمع في العراق الخبر من شهود عيانيين فدوَّنهُ في رسالة نشرها السمعانيّ في المكتبة الشرقيَّة (BO, I, 364-79) وكذلك ليعقوب الرهاوي فيهم ميمر نشرهُ الاب بيجـان (Acta Martyrum I. 372-97) ثمَّ نشر البولنديُّون اعمالهم في اليونانيَّة عن نسخة قديمة في تاريخ ٢٤ ت ١ (Act. SS. X, Oct. 750 — 780) وفي مكتبتنا الشرقيَّة نسخة عربيَّة من هذه الاعمال نقلناها عن مخطوط قديم

ومن الآثار الكتابيَّـة التي نُشرت حديثاً وانتنا بفوائد جديدة عن دخول النصرانيَّة في نجران اعمال القديس « ازقير » بالحبشيَّة من مخطوطات خزانة الكتب الشرقيَّة في لندن فنشرها لاوَّل مرَّة الاستاذ الايطالي الفضـال كنتي روسّيني (١ وخلاصتها انَّ « ازقير » كان كاهناً نصرانياً دعا الى دينهِ اهـل نجران فامر الملك شرحبيل بن ينكف بحبسهِ لكنهُ نجا من الحبس وعمَّد كثيرين وتبعهُ رجلٌ يدعونهُ قرياقوس واجتمعت عليهِ اليهود فقتَّل اقوالهم جهارًا وقُتل عليهِ آخرًا بقطع الرأس مع ٣٨ آخرين وعيدهُ في الكالندار الحبشي واقع في ٢٤ من شهر خدار (٢٠ ت ٢)

فكلّ هـذه الآثار بيَّنت انتشار النصرانيَّة في اليمن . ولم يزدها اضطهاد ذي نوَّاس واليهود الَّا نموًّا لانَّ ملك الروم ونجاشي الحبش القديس أَلصبان مـا فتئا ان ارسلا جنودًا الى اليمن انتقمت للمظلومين وكسرت شوكة اليهود في تلك الانحاء

وقد اتتنا في هذه الحقبة الاخيرة شواهد جديدة غير منتظرة ألا وهي كتابات يونانيَّة وحبشيَّة وحميريَّة اكتشفها الاثريُّون وهي تبيّن ما كان من النفوذ للحبشة في

(١ اطلب مجلة ليتشاي Rendic. d. reale Accad. d. Lincei 1910, ser, V. vol. XIX p. 705-750 ويظن الكاتب انَّ ازقير هذا هو فيمون والله اعلم

بلاد اليمن . فاليونانية اكتشفها في اكسوم الرحّالة الانكليزي هنري سَلت (H. Salt) كتبها « أيزن ملك اكسوم والحميريين وريدان والحبش والصابئة وزيلع وتهامة وبغيث وتوقال ملك الملوك ابن الاله المريخ غير المغلوب » يصف فيها انتصاره على اعدائه البغيثيين . وتاريخ هذه الكتابة اواسط القرن الرابع يظهر منها انّ ملوك الحبشة الوثنيين كانوا استولوا مدّة على اليمن والحميريين

ومن الكتابات الحبشيّة كتابة وقف عليها المرسل الايطالي يوسف سابيتو (G. Sapeto) في اكسوم ايضاً ثمّ نشرها وفسّرها وهي للملك النصراني « تازينا ابن الاعميدا ملك اكسوم وحمير وريدان وسبا الخ » افتتحها بذكر الاسم الكريم « خالق السماء والارض الرب الازلي » . وكان تازينا المذكور ملكاً نحو السنة ٥٠٠ ومن كلامه يظهر انّ ملوك الحبشة لم يزالوا باسطين سيطرتهم على الحميريين . ولا غرو انّ نصرانيّتهم أثرت بدين الحميريين الوثنيين واجتذبت منهم قوماً الى المسيحيّة

امّا الكتابات الحميريّة فاعظم شأناً واخطر بياناً لتاريخ النصرانيّة اكتشفها في انحاء اليمن رجالٌ ذوو حزم لا يهابون الاخطار دخلوا في هذه السنين الاخيرة الى اقاصي اليمن ونقلوا ما كانوا يراقبونهُ من الكتابات الحميريّة الكاشفة لاسرار التاريخ اليمني . اشهرهم العلماء يوسف هالوي (G. Halévy) وادورد گلازر (Ed Glaser) فأتوا من اليمن بنيّفات من الآثار الكتابيّة بينها كتابات حميريّة تفضّل محاربة الحبشة لذي نوّاس وظفرهم باليمن . وتاريخ هذه الكتابات هو تاريخ حمير الواقع سنة ١١٥ للمسيح . فمن جملة تلك الآثار التاريخيّة كتابة تنسب الى حصن الغراب وجدها گلازر (١ فنشرها وهي « لسيفع اشوع » (٢ اقامها في ذي الحجة سنة ٦٤٠ (اي ٥٢٥ للمسيح) تذكاراً لدخول الحبشة في بلاد حمير بعد انتصارهم على ملكها (ذي نوّاس)

ومنها كتابة اخرى تاريخها سنة ٦٥٧ و٦٥٨ (اي ٥٤٢ — ٥٤٣) ورد فيها ذكر انفجار سدّ مأرب وهو من اجلّ الحوادث التاريخيّة كان العلماء يرقّونهُ استناداً الى مؤرخي العرب الى القرن الثاني للمسيح فثبت الآن انهُ جرى في اواسط القرن

١) اطلب كتابهُ الحبشة في بلاد العرب وفي افريقية (E. Glaser: *Die Abessinier in Arabien u. Afrika*, p. 131)

٢) هذا الاسم صحفهُ اليونان باميفاوس

السادس. والكتابة قد نُقرت في الصخر بامر ابرهة الملك الحبشي اوّلها: « بقوّة ونعمة ورحمة الرحمان ومسيحه وروحه القدوس قد امر برسم هذه الكتابة ابرهة الحاكم (على اليمن) باسم الملك الكبير (الحبشي) وعبس ذو بي يمن ملك سبا وذي ريدان وحضرموت وعمانات والعرب الذين في الجبال والسهول ». ومما قال هناك: « ونحن على ذلك اذ بلغنا خبر تهدُّم السدّ والخزّان والحوض والمصرف في شهر ذي المدرح سنة ٦٥٧ ... » ثمّ اردف ابرهة قوله: « فارسلت الى القبائل لتنفذ الحجارة والاخشاب والرصاص لترميم السدّ في مأرب ... ثم توجّهتُ الى يحأرب وبعد ان صلّيتُ في كنيستها عمدتُ الى ترميم السدّ فعزلوا الانقاض حتى وصلوا الى الصخر وبنوا عليه » ثمّ يذكر تأخّر العمل لسأم بعض القبائل عن الشغل وكيف حالف ابرهة اقيال اليمن وقابل وفود ملوك الروم وفارس والحيرة (المنذر) وغسّان (الحارث بن جبلة وابي كرب بن جبلة) وغير ذلك ممّا يفيدنا علماً عن اخبار العرب وفوز ابرهة بقبائلهم سنة ٦٥٧ للحبش (٥٤٢ م). ثمّ عاد الى وصف ترميم سدّ مأرب فقال: « فرمّموهُ ووسعوهُ حتى بلغ طولهُ ٤٥ ذراعاً وارتفاعهُ ٣٥ ذراعاً » ثمّ فصل هناك ما اتفق على العمل من الحجارة والاطعمة للعملة الى ان ختم الكتابة بقوله انّهم « انتهوا من العمل في شهر ذي معان سنة ٦٥٨ (٥٤٣) (١) »

ولعلّ هذا السدّ كان انفجر قبل ذلك غير مرّة ورُمم الّا انّ اخبار العرب تنطبق خصوصاً على هذا الحادث الاخير. وانما خلطوا في اقوالهم خلطاً عجيباً وكفى بهِ استدلالاً على ضعف رواياتهم التاريخيّة التي لا يمكن التسليم بصحتها الّا بعد النقد والنظر الملي

لا غرو انّ النصرانيّة في مدّة ملك الحبشة على اليمن بلغت اقصى النجاح والتقدُّم. لنا على ذلك شواهد تاريخيّة عديدة وكان اوّل ما باشر بهِ الحبش ان جعلوا نجران كعبة الدين النصراني بعد ان تشرفت بدماء اهلها الشهداء. فاقاموا فيها مزاراً كان العرب يقصدونهُ من كلّ صوب وكانوا انفقوا عليهِ القناطير المقنطرة ليزينوهُ بانواع

(١) اطلب كتاب مردتمان في الكتابات الحميرية (Mordtmann: *Himjar. Inschriften*, Berlin 1893) وكتاب مولّر في مدن اليمن وقصورها (Müller: *Burgen u. Schlosser*, Wien 1881)

الحليّ . وهذا المزار قد شاع ذكرهُ عند العرب فدعوهُ «كعبة نجران» او «كعبة اليمن» وضربوا بحسنها المثل واليها اشار الاعشى في بعض ابياتهِ حيث قال يكلم ناقتهُ :

وكعبة نجرانَ حنَّ عليكِ حتى تُناخيَ بأبوابها
تزورُ يزيدًا وعبد المسيـ ـح وقيسًا هم خيرُ اربابها
اذا الجبرات تلوَّتْ جم وجرُّوا السلاسلَ هدَّابها

يريد بني عبد المدان الذين كانوا يتولون امرها وهم من اعيان بني الحارث بن كعب واعرق الناس في النصرانيَّة . وممَّن طبَّقت اخبارهُ اقاصي العرب في ذاك الوقت خطيب مصقع ضربت العرب المثل في بلاغتهِ يزيد القسّ بن ساعدة اسقف نجران وقد جمنا في شعراء النصرانيَّة (ص ٢١١ — ٢١٩) ما رواهُ الكتبة العرب عنهُ وعن يزيد بن عبد المدان النجرانيّ (ص ٨٠ — ٨٨)

ومما يعود فضلهُ الى الحبشة كنيسة عظيمة جمعوا فيها ضروب المحاسن وانفقوا عليها المبالغ الطائلة بنوها في حاضرة ملكهم صنعاء لا تزال حتى اليوم تُرى بقاياها في جامع هذه المدينة وكانوا زيَّنوها بكلّ اصناف الزين والتصاوير وضروب الفسيفساء وهي الكنيسة التي عرفها العرب بالقُلَيس (١ وذكروها في تواريخهم ووصفوها في كتبهم (اطلب مجموعنا مجاني الادب ج ٣ ص ٣٠٢ وكتاب الاغاني ٢ : ٧٥) فما لبثت ان جذبت اليها الجماهير المجمهرة حتى نسي الوثنيون قصر غمدان القريب منها واصنامهُ الصابئيَّة

وكما فعلوا في صنعاء اقاموا ايضاً في ظفار كنيسة اخرى جليلة كانت آية في الحسن والجمال . وكان المتولي تدبير هذه الكنيسة اسقف شهير يدعى جرجنسيوس اتخذهُ ملك الحبشة كستاشار ومساعد لتنصير الحميريين فما آلى جهداً في ذلك وقد ترك لنا من آثارهِ كتاب شرائع الحميريين وترجمتهُ اليونانيَّة تُرى في مجموع الآباء اليونان لمين (Migne, P. G., T. 86, col. 567-620) وكان يجادل اليهود ويردّ على مزاعمهم ولهُ جدال مع هربان الرَّباني صبر ايضاً على آفات الدهر باليونانيَّة (Ibid., col. 621-783) ولدينا منهُ ترجمة عربيَّة (لها بقية)

١) القليس مشتقَّة من اليونانيَّة (Ἐκκλησία) ومعناها الكنيسة

مطبوعات شرقية جديدة

J. Barth: Sprachwissenschaftliche Untersuchungen zum Semitischen, 2er *Teil, Leipzig, Hinrichs,* 1911, p. 59

ابحاث لغوية في اللغات السامية

أولع المستشرق الفاضل الاستاذ بَرْث بدرس اللغات الساميَّة والبحث عن دقائقها فلهُ في ذلك سوابق مشكورة اثنى عليها الاختصاصيون لاسيما كتابهُ الموسوم بتركيب الاسماء في اللغات الشرقيَّة المطبوع سنة ١٨٩٤ حيث اظهر دقَّة فكرهِ في درس اللغات الساميَّة والمقابلة بين قديمها وحديثها. وها هوذا قد اتحفنا بأثر جديد من هذا الباب وهو القسم الثاني من ابحاثهِ اللغويَّة في اللغات الساميَّة ضمنهُ سبعة ابحاث لغويَّة مع عدَّة ملحوظات في المفردات العربيَّة وغيرها » فمن ذلك بحث في الاعداد الاصليَّة التي تُختم بالتاء في المذكر (خمسة رجال) وتجرَّد عنها في المؤنث (خمسُ نساء) فالنحويون العرب يزعمون انَّ هذه التاء هي للتأنيث فالاستاذ بَرْث يخالفهم في ذلك ويرتأي انَّ هذه التاء انَّما هي تاء الاشارة كما تُرى في الحبشيَّة فيجعلون في آخر الاعداد التاء مضمومة وفي المؤنث مكسورة فيقولون (ʾaḥadtu أَحَدْتُ) واحد (ʾaštu شَلَثْتُ) ثلثة للمذكر و (ʾaḥadti أَحَدْتِ) واحدة (ʾaštī شَلَثْتِ) ثلث للمذكر وهو قول يؤيدهُ المؤلف ببعض الملحوظات التي ترجمهُ — ومن ابحاثهِ ما كتبهُ في قول العرب ارَأَيتَ وأرَأَيتَكَ وارَأَيتِكُنَّ او بحذف الهمزة الوسطى أرَيتَ أرَيتكَ وهم يزعمون انَّهُ فعل رأى ومعناهُ ظنَّ وشرحوا أرَأَيتَ بمعنى أخبِرني وركبوها مع مفعولين فقالوا: «ارَأَيتكَ زيدًا ما فعل» فعلى رأي المسيو بَرْث انَّ هذه الكلمة ليست من فعل «رأى» بل من لفظة آراميَّة חזה او אזה هي اسم فعل للتنبيه بمعنى انظر زادوا عليها تاء التقوية كما في ثُمت وربَّت فظنوها بعدئذٍ من فعل رأى — ومثل هذا بحث للمسيو بَرْث في لام الاستغاثة او التعجب المفتوحة «يا لَزَيدٍ» ويا لَقومٍ» ويكتبون «يالَ قومٍ» فقال البعض انَّ هذه اللام مختصرة من «آل» او من «ألا» لجنابهُ يشتقّ هذه اللام من الحرف الآرامي لَهْ (לה) يجعلونهُ في مخاطبة البعيد كما يقولون «يا ذاك» ويا أيُّها ذا» — ومن آراء المسيو بَرْث انَّ مُنذ ومذ

ليستا لفظةً واحدةً على صورتين بل انَّ الاولى مشتقة من الآراميَّة ܕ ܙ (من ذي) وفي الحبشيَّة ዘ+ ኧ كانت في الاوَّل حرف عطف ثمَّ اتُّخذت كحرف جرّ اما مُذ فتوافق الحبشيَّة ዘ+ ኧ اي من هناك وهي ظرف ولذلك جاء الاسم بعدها مرفوعاً ايضاً فقالوا « مـا رأيتُهُ مذ يومان » ثمَّ خلط النحويُّون بعد ذلك بين الكلمتين. وللمعلم بَرْث غير ذلك مما لا يسمح لنـا المكان بذكرهِ كاشتقاقهِ لفظة عنوان من الآراميَّة ܥܢ وكفى بهِ دليلًا على فضل الكاتب الـذي ينهج للغويين طرقاً جديدة لتزيح ما اعتاص عليهم لجهلهم اللغات الشقائق للعربيَّة الاب ب. جورن

E. J. W. GIBB MEMORIAL SERIES (Vol III, 1-3): THE PEARL-STRINGS; A HISTORY OF THE RESULIYY DYNASTY OF YEMEN, BY 'Aliyyu'bn'l-Hasan 'el-Khazrejiyy

العقود اللؤلؤيَّة لعلي بن الحسن الخزرجي

ذكرنا غير مرَّة منشورات الجمعيَّة المتولية لانفـاق تركة المرحوم « جِبّ » على طبع الكتب الشرقيَّة. ومن آيات فضلها نشر كتاب فريـد لا يُعرف منهُ سوى نسخة واحدة في مكتبة الحكومة الهنديَّة (India Office) في لندن في اوائل القرن التاسع للهجرة ابو الحسن عليّ الخزرجي المعروف بابن الرَّمّاس المتوفى سنة ٨١٢ (١٤٠٩ م). ولهذا الكاتب عدَّة تآليف جليلة في تاريخ اليمن ذكرها الحاج خليفة في كشف الظنون (٢ : ١٥٩) وفي مكتبة ليدن (ج ٢ ص ١٧٣ و ١٩٦) من تواريخهِ كتابا الكفاية والاعلام فيمن ولي اليمن وسكنها من الاسـلام وطراز اعلام الزَمَن في طبقات اعيان اليمن تدلّ كلّها على سعة علم صاحبها. اما الكتاب الـذي نحن بصددهِ فيحتوي بعد المقدّمات في تاريخ ملوك اليمن وغسّان ذكر دولة تُعرف بالرسوليَّة لانتسابها الى الرسول ارسلهُ احد خلفاء بني عبّاس الى مكَّة فتولّى اولادهُ من بعدهِ على اليمن وكان اوَّلهم نور الدين عمر الرسولي استقلَّ بالملك بعد بني أيُّوب سنة ٦٢٦ هـ (١٢٢٩ م) وملكوا الى سنة ٨٤٥ (١٤٤١) وكان آخرهم مظفر يوسف الرسولي فخلفهم بنو طاهر. فالخزرجي روى اخبارهم بالتفصيل الى زمانهِ اعني السنة ٨٠٣ (١٤٠٠ م). والنصّ العربيّ لا يزال تحت الطبع اما ترجمتهُ الى الانكليزيَّة فقد تولّاها فقيد العلم المستشرق ريدهوس (G.M.Redhouse) وقد ألحق هـذه الترجمة

بملحوظات واسعة على المتن باللغة الانكليزيّة. وقد انجز عملهُ بشلاثة اجزاء اهتمّ بنشرها من بعدهِ ثلاثة من علماء الانكليز الافاضل ا.ج برون (E. G.Browne) ثم ر.ا.نيكلسون (R.A. Nicholson) وا.روجرس (A.Rogers) وقد تصفحناها كلها فاذا هي من انفع المنشورات واجلّها سوف تبقى لصاحبها المرحوم ذكرًا طيباً. وفي آخر القسم الثاني منها فهارس واسعة للاعلام تسهل البحث تسهيلًا عظيماً فشكرًا لكل من سعى بطبع هذه الدرر السنيّة ل.ش

E. J. W. GIBB MEMORIAL. Vol II. Ibn Isfandiyar's History of Tabaristan., an abridged Translation by E. G. Browne M. A., M. B. 1905, pp. 356

ترجمة مختصرة لتاريخ طبرستان لابن اسفنديار

هو اثر آخر من مطبوعات الجمعيّة المنتسبة لجبّ. يحتوي ترجمة انكليزيّة لتاريخ جليل وضعهُ بالفارسيّة محمد بن حسن الشهير بابن اسفنديار في السنة ٦١٢ للهجرة (١٢١٦م) نقلهُ عن كتب فارسيّة قديمة نُقد اكثرها اخصها تاريخ باوندنامه وكتاب العقود لابي الحسن اليزدادي وهو تاريخ واسع لطبرستان اقاليم العجم الكبرى الذي توالت عليهِ المطامع فملكتهُ عدّة دول بعد الاسلام. فابن اسفنديار تتبع احوال تلك الدول الى زمانهِ وكتابهُ لم ينشر منهُ الّا بعض شذرات اخصها مكتوب عربهُ عبدالله بن المقفع يُنسب الى اردشير باباخان وزير تنسر وجههُ الى جُشنَسف ملك طبرستان وهو يعدّ من اقدم آثار الفرس. فالعلّامة برون الشهير بنشوراتهِ الفارسيّة وابحاثهِ عن آداب الفرس احبّ ان يختصر هذا الكتاب فينشر بالانكليزية في جملة مطبوعات جبّ فاجاد كما هي عادتهُ المألوفة وشفع هذه الترجمة بملحوظات عديدة وفهارس واسعة زادتهُ فائدة ل.ش

Les Tendances sociales des Catholiques libéraux, par Ch. Calippe, *Paris, Bloud*, 1911

مساعي الكاثوليك الاحرار في المشروعات الاجتماعية

قام في القرن الماضي رجال ذوو همّة جعلوا غايتهم الموافقة بين الكنيسة والتعاليم العصريّة غلب عليهم اسم الكاثوليك الاحرار فاخذوا على نفسهم ان يطلقوا الحريّة التامّة للحقائق المسيحيّة والاضاليل العصريّة زاعمين انّ الحقّ بقوتهِ يغلب الباطل

وفاتهم انَّ الحقَّ مهما سطع نورهُ اذا تكاثفت عليهِ ظلمات الباطل ينحجب نورهُ وتخفى ضيازهُ عن العيان حتى يعمى عنهُ الكثيرون لا سيما انصار الضلال لا يردعهم ولا يثني عزمهم صوت حكمة. على انَّ هؤلاء الكاثوليك ربَّما انقادوا الى تلك الآراء الباطلة لحسن ظنهم باعداء الكنيسة. وعلى كلّ حال كنتَ تراهم يفرغون المجهود في خدمة الشعب وانشاء المشاريع الخيريَّة وفضّ المشاكل الاجتماعية وغير ذلك من الاعمال الصالحة التي كانت تدلُّ على سلامة نيَّتهم ورسوخ قدمهم في الدين. والكتاب المنون آنفاً قد وضعهُ احد كتبة عصرنا ممَّن درسوا المباحث الاجتماعيَّة الحوري كاليب فاحسن في وصف هؤلاء الكاثوليك الاحرار الذين منهم الاب لاكوردار والخطيب المصقع متالمبرت والمحسن الشهير اوزانام والاب غراتري وغيرهم وقد اتَّسع المؤلف في اعمالهم الكبيرة التي باشروها في خدمة ذوي البأساء. وقال انَّها شغلت بفضلاهم الناتج عن قلَّة خبرة

الاب ي. نيران

LIBRAIRIE BLOUD : I MARTIN : Thomassin — II BAUDOT : Le Martyrologe — III DESLANDRES : S. Pie V. — IV DAVID ET LORETTE : Histoire de l'Eglise (283 pp.) — V SCHNEIDER : Qu'est-ce que le ciel ? — VI LAUDET : La Sr Rosalie.

مطبوعات مكتبة بلود

١ هذه الكتب تلحق بمجموعة تنشرها مطبعة بلود من قلم الشهير اللاهوتيين فالاوَّل منها اختص فيهِ المؤلف حياة اللاهوتي توماسين الفرنساوي (١٦١٩—١٦٩٤) وذكر لائحة مؤلفاته واقواله العلميَّة

٢ والثاني تاريخ السنكسار اللاتيني منذ القدم مبتدئاً بالقوائم التي كان ابازنا يقيدون فيها تذكارات الشهداء ومنتهياً بالنص الرسمي للشهور في ايامنا

٣ وفي الثالث ترجمة الحبر الاعظم القديس بيوس الخامس الذي قام احسن قيام مدة حبريتهِ (١٥٦٦—١٥٧٢) باحكام المجمع التريدنتيني في العقائد والعوائد واصلح الخلل ودافع عن النصرانيَّة فتكلَّل دفاعهُ بالنجاح

٤ الرابع هو ملخص مدرسي لتاريخ الكنيسة منذ ايام الرسل الى ايامنا جمع فيه صاحبهُ اهمَّ المعارف التاريخيَّة التي يليق بالتلميذ معرفتها في احوال الدين النصراني على مر الاجيال

٥ يتضمن الخامس مقالة لاهوتية علمية موضوعها خراب العالم والحياة الاخيرة لخّص فيها المؤلف ما يعلمهُ الدين ولا ينكره العلم في هذا الشأن

٦ موضوع السادس سيرة الاخت روزالي التي خدمت الفقراء والمساكين مدة خمسين سنة في باريس فاقرّ لها بالفضل والفضيلة العالم والجاهل والدين والكافر واصبح اسمها مرادفاً للطهارة والتواضع والتفاني ا.ر

LE « JUIF-ERRANT » DEVANT L'OPINION PUBLIQUE

معرض الافكار او صدى رواية اليهودي التائه

لجامعه الاديب يوسف افندي غلبوني (في المطبعة الكاثوليكية ١٩١١ ص ٢٤٠)

قد قيل انَّ صوت الباطل لساعة وصوت الحقّ الى قيام الساعة. سمعت بيروت جلبة الباطل في احدى ليالي آذار السابق فظنَّ المتشدّقون ان سيبقى للغطهم اثر دائم فساءوا ظنًّا اذ انَّ صدى رواية اليهودي التائه كان كغرقعة في الهواء او ضربة في الماء. وما لبث ان ارتفع الى السماء صوت آخر كان كهزيم الرعد او كصاعقة صُعق بها الباطل وزهق الضلال ألا وهو صوت احبار اجلّاء وسادة فضلاء ورجال شهامة ودين وارباب قلم مبرّزين فكتبوا الرسائل السنيَّة ووضعوا المقالات المزرية باللآلئ الدريَّة وانشدوا القصائد الطنّانة الحماسيَّة فكان لكلامهم اطيب وقع في القارب وتمنى الاهاون لو جُمعت تلك الآثار في كتاب يصبر على آفات الزمان فيخبر الاخلاف ما اورثهم اجدادهم من الخلال الشريفة وكريم الاوصاف بانتصارهم للدين ودفاعهم عن الحقّ اليقين. فحدت الحميَّة الدينيَّة والمروّة الوطنيَّة الاستاذ الفاضل يوسف افندي غلبوني الى ان يوقف نفسهُ لهذا العمل فكدَّ وجدَّ ولم يألُ الجهد حتى وضع هذا « معرض الافكار » وهذا المعرض لا تجد فيهِ مالًا حطاماً بل شواعر لطيفة وعواطف رقيقة وكل معنى بليغ شريف ولفظ حرّ عفيف. فجازى الله متولي هذا العمل وامتعنا بكثيرين من امثالهِ. ونهني الشبَّان اللبنانيين الذين اقتفوا آثارهُ وقاموا مؤخرًا بتمثيل رواية اخرى لمعاكسة المبادئ الكفريَّة جعلوها كتكفير لبنان عن رواية الخلاعة والكذب فلم يلقوا في فرن الشباك الَّا ايدياً تصفق وقلوباً تخفق واصواتاً تصعق: فليحي الدين ولتسقط الماسونيَّة ل.ش

شذرات

مجلّات كاثوليكيّة جديدة ذكرنا في احد الاعداد السابقة (ص ٧٧) المجلّات العربيّة الكاثوليكيّة التي نُشرت في سوريّة ومصر بعد ظهور المشرق وكان حقنا ان نذكر مجلّة صغيرة عُني بانشائها سنة ١٩٠٢ الآباء الدومنيكان المرسلون في مطبعتهم الموصليّة ودعوها « اكليل الورود » خصُّوها اوّلاً بوردية العذراء ثمّ اتّسعوا فيها حتى بلغت صفحاتها في السنة الثالثة ٢٥٠ صفحة وكانوا ينشرونها بالعربيّة والافرنسيّة . ولا نعلم اهي الى يومنا في عالم الوجود — وقد بلغنا آخرًا العدد الاوّل من مجلّة اخرى كاثوليكية نشرها حديثًا الآباء الكرمليون الافاضل في بغداد واسمها « لغة العرب » فيدلّ عنوانها على انّ موادها لغويّة خاصّة . ولا عجب فانّ منشئها وصاحب امتيازها حضرة الاب انستاس ماري الكرمليّ الذي طالما تفكّه قرّاؤنا بمقالاته اللغويّة المتقنة التي تشهد له بطول الباع في معرفة العربيّة . ولا نظن انّ حضرتهُ يحرمنا من الكتابة في ابواب اخرى لاسيما المباحث الدينيّة التي يحتاج اليها اهل بلادنا فوق كل بحث ويجعلها كلّ مرسل في مقدّمة مجانه — وممّا يجوز الحاقهُ بالمجلّات المستحدثة فبلغتنا اعدادهُ الاولى مجلّة فرنسويّة مصوّرة تُدعى مرغريث (Marguerite) يصدرها مرّة في الاسبوع جناب الرسّام البارعي . كريسّو منشئها وهي اقتصاديّة ونسائيّة خاصّة فتتمنّى لها النجاح

المكتبة البطريركيّة في الاسكندريّة عند الفتح الاسلامي زعم الزاعم انّ العرب لمّا دخلوا الاسكندريّة ليس فقط لم يجدوا مكتبتها الشهيرة التي انشأها البطالسة بل لم يلقوا فيها مكتبة البتة . وقد سبق لنا في ذلك مقالة (ص ٣٨٨) لا حاجة الى تكرار ادلّتها . وها قد وقفنا بين اعمال احد المعاصرين وهو القديس انستاس السيناوي المتوفّى سنة ٦٠٨ للمسيح على ذكر مكتبة واسعة يدعوها المكتبة البطريركيّة عاينها في الاسكندريّة وكرّر ذكرها في كتابهِ « دليل الحياة » الذي نشرهُ بالاصل اليوناني الاب مين - (Migne P. G., t. 87 col. 35) (105 وقد اجتمع بناظرها ايزيدوروس (Ibid., col. 185) واثبت منها اسماء

مخطوطات عديدة استعان بها لتنضيد بدعة الطبيعة الواحدة. وناهيك به دليلًا على اهتمام نصارى الاسكندريّة بالمكاتب. وقد ورد في الكتاب عينه (ص ١٨٤) ذكر ١٤ ناسخًا كان انصار ساويرس أمّروهم لنسخ الكتب مع تحريف بعض اقوالها وفقًا لبدعتهم . فان كان عدد النسّاخ المراطقة اربعة عشر فلا نشكّ انّ عدد الكاثوليك منهم كان يبلغ اضعاف ذلك — امّا ما رويتهُ مجلة المقتبس آخرًا عن مُكاتب التيمس بخصوص حريق مكتبة الاسكندريّة فسنعود اليهِ في عدد آخر

آثار قديمة من الفسيفساء في الجامع الاموي — اخبر مؤرخو العرب انّ الوليد الثاني لمّا اخذ من نصارى دمشق ما كان باقيًا في يدهم من كنيسة مار يوحنّا ليقيم الجامع الاموي طلب من ملك الروم ان يرسل عملة بارعين لترميمهِ وتزيينهِ فارسل اليهِ الوفًا منهم قاموا بذلك العمل الجليل وجعلوا البناء من عجائب الابنية. وكان بين نقوش الجامع واعمالهِ الهندسيّة قطع من الفسيفساء ذكرها المقدسيّ في القرن العاشر للمسيح في كتابهِ « احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم » قال صفحة ١٥٧ من الطبعة الثانية لدي غوي) قال :

« وفي الوسط ازاء المحراب قبّة كبيرة وأدبر على الصحن اروقة متالية بفراخ فوقها ثمّ بأط جميعهُ بالرخام الابيض وحيطانهُ الى ثامنين بالرخام المجزّع ثمّ الى السقف بالفسافساء (كذا) الملوّنة المذهّبة بصور اشجار واثمار وكتابات على غاية الحسن والدقّة ولطافة الصنعة وقلّ شجرة او بلد مذكور الّا وقد مُثّل على تلك الحيطان وطليت رؤوس الاعمدة بالذهب وقناطر الاروقة كانها مرصّعة بالفسيفساء . . .

فهذه اعمال الفسيفساء لم تتلف كلها فانّ السير سلادين (Saladin) كان وصف ما وجدهُ منها سنة ١٨٧٩ في مثأب الجامع . ثمّ وقف الانكليزي ديكي (Dickie) سنة ١٨٩٦ على غيرها في الاربعة القناطر الاولى من باب البريد وهو الباب الغربيّ للجامع الاموي وفي هذا العام الجاري قد اكتشفوا على كثير من اعمال الفسيفساء للبناة البوزنطيين وذلك في الكوى والشبابيك التي تعلو فوق باب الجامع الاكبر على قناطرها واطرافها وكانت تلك الاعمال قد طُمست وشوّهت بحريق الجامع على عهد تيمورلنك ثم بالملاط والكلس وقد نُظّفت في هذه السنة فظهرت بكل الوانها الزاهية ومحاسنها الباهرة ونقوشها العجيبة فترى الاشجار باوراقها واثمارها تجري تحتها المياه ثمّ صور قصور شاهقة ومشاهد وقبب وكلّ ذلك بالالوان الزاهية والذهب

الابرز يأخذ نظرها بجامع القلب ويشهد لبراعة مهندسي الروم في القرن الثامن للمسيح

اسئلة واجوبة

س سأل احد ادباء البلدة أتتبّر شيء من احوال الكنائس الشرقيّة برقيم قداسة الحبر الاعظم الذي صدر في رومية في ٣ تموز من السنة الجارية بخصوص اعياد البطالة وحصر عددها الى ثمانية

رقيم الحبر الاعظم في اعياد البطالة والكنائس الشرقيّة

ج معلوم انّ المناشير البابويّة التي مدارها على الطقوس والعادات والنظام الكنسيّ والحقّ القانونيّ لا تشمل الكنائس الشرقية ما لم يخصّها الحبر الاعظم بالذكر. ومن ثمّ لم يتغيّر شيء بقوّة الحكم الاخير في عادات الشرقيين واعيادهم. ولعلّ اصحاب النيطة السادة البطاركة يستغنمون هذه الفرصة ليخابروا الكرسي الروماني في بعض ما يرونهُ مناسباً لرعاياهم بخصوص الاعياد والاصوام والقطاعات فاذا تقرّر شيء من ذلك افادوهم عنهُ بمناشير خاصّة يوجهونها اليهم

س سأل احد الصحفيين من مصر: يقال انّ الصينيين اوّل من اكتشف الورق ايعرف تاريخ هذا الاكتشاف وطريقة استحضارهم لورقهم

اكتشاف الورق في الصين

ج كتب قدماء البابليين على الآجرّ والمصريّون على البرديّ واليونان وغيرهم على الرقّ. امّا الصينيّون فكتبوا اوّلاً على قشور الخيزران ثم عمدوا الى انسجة الحرير بعد اكتشاف الاقلام سنة ٢١٠ ق م واذ رأوا ذلك زيادةً في النفقات اتّخذوا مُشاقة الحرير فاغلوها حتى اذا اصبحت كالعجين كان ينزعون عنها طفاوتها ويتخذون رسوبها للكتابة وقد سبق استعمالهم لهذا الورق الحريري تاريخ الميلاد بنحو ثلاثة اجيال. ولمّا كانت السنة ١٠٥ بعد المسيح توفّق الصينيّ «تصاي لوان» الى طريقة اخرى كثيرة الاقتصاد بان استبدل مشاقة الحرير اما بألياف الشجر ورؤوس القنب واما بأسمال الكتّان فكان الورق المتّخذ من هذه المواد خفيفاً متهاود الاسعار فقدّمهُ للملك الصين الذي اثنى عليهِ واجازهُ فشاع الورق منذ ذاك في الصين وهم يدعونهُ «تشه». والشائع انّ العرب تعلّموا من الصينيين في القرن العاشر طريقة استحضار الورق وعلّموها للعالم الغربيّ ولعلّ الاصح انّهم تعلّموها من السريان الذين هاجروا قبلهم الى الصين ونشروا هناك الدين المسيحي ل.ش